الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة د. مولاي الطاهر – سعيدة –

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس في الأدب العربي

تخصص لسانيات عامة

قراءة في كتاب العلامة

تحليل المفهوم وتاريخه لأمبرتو إيكو

إعدادالطالبتين :

- لبوخي نوال
- ويس ربيعة

تحت إشراف الأستاذ:

بن امحمد عامر

2020/2019

شكـر وعرفـان

الحمد لله الذي أنعم علينا نعمة العقل والدين وأنار لنا درب العلم

والمعرفة

وأعاننا على إنجاز هذا البحث

نتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأستاذنا المشرف

إهـــــداء

إلى من قال فيهم عز وجل:

"وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا"

(سورة الإسراء/ الآية 23).

نهدي مجهودنا إلى والدينا وإلى من ندخل الجنة برضاهم أمهاتنا الغاليات

إلى أخواتنا وإخواننا الأعزاء أطال الله في عمرهم

إلى

صديقاتنا في الجامعة

إلى مشرفنا الغالي في كتابة المذكرة

الأشتاذ: بن امُحَمَّد

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

خطـــة البحـــث:

مقدمة

الفصل الأول: الدراسة الخارجية للكتاب

المبحث الأول:

الاسم الكامل للمؤلف.

عنوان الكتاب.

عدد الصفحات.

حجم الكتاب.

المبحث الثاني:

الوصف الخارجي للكتاب.

دار ومكان النشر، الطبعة.

الواجهة الأمامية/الخلفية.

المبحث الثالث:

عدد الأقسام

/الفصول/العناصر الجزئية في كل فصل.

الفصل الثاني: الدراسة الباطنية للكتاب

المبحث الأول: المرجعية الثقافية للمؤلف.

المبحث الثاني: أهم العناصر التي اشتغل عليها المؤلف .

المبحث الثالث: مكتبة المؤلف (بعض المصادر والمراجع).

مقدمـــــة

مقدمة:

اللسانيات هي العلم الذي يهتم بدراسة اللغات الإنسانية ويختص بدراسة خصائصها وتراكيبها ودراجات التشابه والتباين، فيما بينها ويدرس اللغة من كل جوانبها دراسة شاملة، التي هي في جوهرها ربط الأصوات بالمعاني، ويتحقق ذلك في ظل الحافز التواصلي بين أفراد المجتمع اللغوي، مما يجعل اللغة ناما من العلاقات الدالة التي تعطي مجالا أرحب من المفاهيم، إذن فهي حقل ألسني يشمل جميع التصورات المستوحاة من الواقع، وتحقيق التلازم بين الصور السمعية (الدال) المرتبط بتلك الصورة (المدلول).

ومن هنا فإن الحديث عن الدلالة يقتضي الحديث عن العلامة، فمنذ كان الوجود وجدث العلامة، نظرا لاتصال الإنسان بالطبيعة من أجل تفسير الظواهر وإخضاعها، بتأويل دلالاتها لتحقيق ظروف الاجتماع بوصفه ميزة إنسانية، ولا تتحقق هذه النزعة إلا بوجود نظام اصطلاحي من العلامات الدالة.

وانطلاقا من هذا أخذنا فضولنا إلى البحث العميق في مفهوم العلامة وتاريخها، ولذلك اخترنا كتبتا لأمبيرتو إيكو تحت عنوان "العلامة تحليل المفهوم وتاريخه" كمصدر لفهم العلامة بشكل أوسع. ومن بين أسباب اختيارنا لهذا الموضوع:

- إزاحة الغموض الموجود حول مفهوم العلامة وتاريخها.

- رغبتنا في إثراء زادنا المعرفي.

- دراسة الموضوع من منظور جديد لنستفيد وزملائنا الطلبة من هذا البحث وتحفيزهم على قراءة هذا الكتاب.

* وبينما نحن في طريقنا إلى البحث والدراسة واجهتنا العديد من الصعوبات منها:

- توقف الدراسة بدون سابق إنذار بسبب وباء كوفيد- 19.

- قلة المصادر والمراجع وعدم توفر الكتب بسبب غلق المكتبات.

- البعد عن زميلتي في البحث مما أدى بنا إلى عدم وجود تواصل وتنسيق بيننا لتبادل المعلومات.

– صعوبة الموضوع بسبب توظيف الكاتب عبارات خاصة به والتي تحتاج منا بحثا لفهمها.

ومن هنا يمكننا طرح التساؤلات التالية: على ماذا يحتوي هذا الكتاب؟ وما هي أهم المراجع التي اعتمدها الكاتب؟ وما هي أهم المواضيع التي تطرق إلى دراستها؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات اتبعنا المنهج التاريخي والمنهج الوصفي متبعين في ذلك خطة بحث تحتوي على فصلين في كل فصل ثلاثة مباحث.

الفصـــــل الأول

الدراسة الخارجية للكتاب

الفصل الأول: الدراسة الخارجية للكتاب

المبحث الأول: بطاقة تعريفية بالكتاب

1/ الاسم الكامل للمؤلف: أمبرتو إيكو

2/عنوان الكتاب: العلامة "تحليل المفهوم وتاريخه"

3/عدد الصفحات: 288صفحة.

4/حجم الكتاب: متوسط

- الطول: 24سم
- العرض: 17سم
- السمك: 02سم

المبحث الثاني: الوصف الخارجي للكتاب

دار ومكان النشر والطبعة: دار النشر "كلمة" و "المركز الثقافي العربي" الطبعة الأولى 1428هـ _2007م.

الواجهة الأمامية:

يطغى على الكتاب اللون الأحمر، وذلك ربما للفت نظر القارئ "إضافة إلى أنه من الألوان الجميلة والجريئة فهو يرتبط بالعديد من الدلالات التي لها تأثير نفسي قوي وهو من أكثر الألوان التي يمكن ربطها بمعاني ورموز نفسية عنيفة وأشارت دراسات أيضا عن دلالة الون الأحمر بأنه لون يرمز للتفاعل بحيث يعذب الناس.

وتناولت الواجهة الأمامية لوحة فنية عبارة عن مجموعة من الرموز للدلالة على عنوان الكتاب وموضوعه.

وعنوان الكتاب واسم المؤلف مكتوبين باللون الأبيض دلالة على وضوح أكثر.

2/الواجهة الخلفية:

أما بالنسبة للواجهة الخلفية، اللون نفسه (الأحمر) بالإضافة إلى ألوان أخرى عبارة عن مربعات صغيرة في الجهة السفلى من الكتاب، وبجانبها دار النشر، وفي الأعلى نبذة عن موضوع الكتاب.

المبحث الثالث: محتوى الكتاب

يحتوي الكتاب على خمسة فصول في كل فصل تناول قضايا مختلفة ألا وهي:

*كان الفصل الأول تحت عنوان "السيرورة السيميائية" ذكر فيه:

1- العلامة باعتبارها عنصرا داخل السيرورة التواصلية.

2- العلامة باعتبارها عنصرا داخل السيرورة الدلالية.

3- النظرات الثلاث في تصور العلامة: الدلالة والتركيب والتداول.

* أما الفصل الثاني تحدث فيه عن "تصنيف العلامات" حيث صنف العلامات إلى تسعة معايير ألا وهي:

المعيار الأول: باعتبار مصدر العلامة.

المعيار الثاني: باعتبار الدلالة والاستنتاج.

المعيار الثالث: باعتبار العلامات ذات المظهر السيمبوطيقي.

المعيار الرابع: باعتبار مقصدية العلامة ودرجة وعي المرسل.

المعيار الخامس: باعتبار قنوات تلقي العلامة.

المعيار السادس: باعتبار علاقة العلامة بالمدلول

المعيار السابع: باعتبار انتاجية الدال.

المعيار الثامن: باعتبار نوع الترابط المفترض بالمرجع

المعيار التاسع: باعتبار الأثر الذي تحدثه العلامة على المتلقي.

أما الفصل الثالث كان تحت عنوان "المقاربة البنيوية" درس في إيكو ما يلي:

1- اللغة كبنية وكنسق.

2- المستوى الاستبدالي والمستوى التراكيبي

3- التقابل والاختلاف.

4- الوظيفة السيمبوطيقية.

5- الإيحاء والتعيين.

6- نسق المحتوى.

7- القاموس والموسوعة.

8- الوحدات الثقافية.

9- الموسوعة والنسق الدلالي.

* أما الفصل الرابع عنون ب"أنماط الانتاج السيميائي" درس فيه ما يلي:

1/ تمفصلات العلامة غير اللسانية.

2/ حدود النموذج اللساني.

3/ صيغ انتاج العلامة.

* أما الفصل الخامس والأخير فكان تحت عنوان : "القضايا الفلسفية للعلامة" تناول فيه ما يلي:

1/ الإنسان حيوان رمزي.

2/ الطبيعة كلغة إلهية.

3/ اللغة صوت الكائن.

4/ العلاقة بين العلامة والفكر والواقع.

5/ المؤول السيرورة السيميائية غير المحدودة.

الفصل الثاني

الدراسة الباطنية للكتاب

الفصل الثاني: الدراسة الباطنية للكتاب

المبحث الأول: المرجعية الثقافية للمؤلف

ولد أمبرتو إيكو (amberto-eco) في مدينة ألساندريا بإقليم بييمونتي، وكان أبوه جوليو محاسبا قبل أن تستدعيه الحكومة للخدمة في ثلاث حروب، خلال الحرب العالمية الثانية، انتقلت أم إيكو "جيوفانا" مع ابنها إلى قرية صغيرة في حيد بييمونتي الجبلي، أخذ اسم عائلته إيكو (ECO) من الحروف الأولى للعبارة اللاتينية:

EXCOELISOBLUTUS (هبة السماء)، ومنح لجده –الذي كان لقيطا– من قبل مكتب المدينة، كان ابنه ابنا لعائلة فيها ثلاثة عشر ابنا آخرين، وحاول دفعه لأن يصبح محاميا، غير أنه انتسب إلى جامعة تورينو لدراسة" فلسفة القرون الوسطى والأدب".

كتب أطروحته حول توما الأكويني، وحصل على دكتوراه في الفلسفة في 1954، وخلال هذا الوقت، هجر إيكو الكنيسة الكاثولوكية الرومانية بعد أزمة إيمان.

عمل إيكو محررا ثقافيا للتلفزيون والإذاعة الفرنسية، وحاضر في جامعة تورينو، كما صادق مجموعة من الرسامين والموسيقيين والكتاب في الإذاعة والتلفزيون الفرنسيين، الأمر الذي أثر على مهنته ككاتب فيما بعد، خصوصا بعد نشر كتابه الأول، مشكلة الجمال عند توما الأكويني problema Epteticodissan//

Tommaso الذي كان توسعه لأطروحة الدكتوراه خاصته، في سبتمبر 1962 تزوج "ريناتي رامج" رسامة ألمانية.[1]

من أشهر مؤلفاته:

- اسم الوردة.
- مقبرة براغ
- كيفية السفر مع سلمون.

[1] https://or.m.wikipedia .org/wiki/

- نزهات في غابة السرد.
- حاشية على اسم الوردة.
- لا نهائية القوائم: من هوميروس حتى جويس.
- السيميائية وفلسفة اللغة.
- العلامة تحليل المفهوم وتارخيه.
- آليات الكتابة السردية.
- التأويل بين السيميائيات والتفكيكية.
- جزيرة اليوم السابق.
- الأثر المفتوح.
- باودولينو.
- بندول فوكو.
- شعلة الملكة لونة الغامضة.
- العدد صفر.

المبحث الثاني. أهم العناصر التي اشتغل عليها المؤلف

يبدأ المترجم مقدمته بذكر مجموعة من أعمال الكاتب أمبيرتو إيكو (amberto-eco) حيث يقول : " يعد هذا الكتاب ثالث عمل في مسيرة أ مبيرتو إيكو ... فقد نشر سنة 1962 ، كتابه الأول " Opera Operta" الذي ترجم إلى الفرنسية سنة 1965 (L'oeuvre ouverte) العمل المفتوح..."[1]

يرى سعيد بن كراد أن هذا الكتاب له طابع خاص فهو لا يقدم لنا تاريخا للنظريات السيميائية أو غيرها وإنما يقتصر هذا الأخير على تأمل تجربة إنسانية شاملة، ومحاولات الإنسان للتخلص من مخلفات طبيعة هوجاء لا ترحم لكي يحتمي بعالم ثقافي ألا وهو "الرمز" الذي يشعر فيه الإنسان بالطمأنينة والذي يكون له بمثابة المنجي أو

[1] أمبيرتو إيكو: العلامة تحليل مفهوم وتاريخه، ت: سعيد بنكراد، دار النشر: كلمة والمركز الثقافي العربي، ط1، 2004، ص07.

المغيث له في فهم وتفسير الظواهر الطبيعية والاجتماعية ويظهر ذلك في قوله:"... ولهذا الكتاب طابع خاص ، " فهو لا يقدم لنا تاريخا خاصا بالنظريات السيميائية التي عرفتها الأزمة المعاصرة ، ولا يحدثنا عن المردودية التحليلية للمنهج السيميائية ... وإنما يكتفي بتأمل تجربة إنسانية شاملة ..."[1] ومن هنا يمكننا القول بأن هذا الكتاب هو تأريخ لرحلة الانسان مع الرموز وأشكالها المتعددة .

بعد ذلك يلخص لنا المترجم كيف افتتح أمبيرتو إيكو كتابه، حيث يروي لنا قصة مواطن إيطالي "السيد سيغما "الذي بدأ يحس بألم في معدته، بينما كان في زيارة إلى باريس، فقرر أن يذهب إلى طبيب ليشخص حالته، وفي طريقه اليه بدا يلاحظ مجموعة الرموز والعلامات ومن هنا نكتشف أن الانسان لا يمكنه أن يخطو خطوة واحدة في الحياة دون الاعتماد على رموز وعلامات تمكنه من فهم ما يحيط به، وفي هذا الصدد يقول إيكو: " العلامة توجد كلما استعمل الإنسان شيئا ما محل شيء آخر[2]" وتلك هي الأسس التي انبنا عليها المجتمع ذاته، ومن هنا يظهر لنا أن العلامة هي الوسيلة الأمثل التي تربط الإنسان بعالمه الخارجي. فالإنسان في نظر إيكو حيوان رمزي وهذا التصور قال به إرنست كاسيرر[3]من قبل، و "الرمزية ليست ميزة لغوية فحسب بل تشمل ثقافة الإنسان كلها..." فالمؤسسات والملابس وكل شيء يحيط به هي أشكال رمزية أودعها الإنسان تجربته لتصبح قابلة للإبلاغ، فعلاقته بالعالم الخارجي ليست علاقة مباشرة، وهو يرى أن التوسط السيميائي هو الحالة الرمزية المثلى التي مكنت الإنسان من اكتشاف نفسه خارج حدود التطابق الوجودي بينه وبين محيطه، لقد قادت مغامرات الإنسان الأولى مع الرمز ووظائفه إلى تقديم تصورات في التطرف والمثالية، ولقد كانت نظرية أفلاطون أول محاولة في هذا الاتجاه، وبعد ذلك قام سعيد بنكراد[4] بطرح مجموعة من التساؤلات والتي ستجيب عليها فصول الكتاب الخمسة حيث قام بتقديم تلخيص شامل لها.و في نهاية هذه المقدمة قام سعيد بنكراد بتقديم الشكر والامتنان لكل من ساعده في ترجمة الكتاب.

[1] أمبرتو إيكو، المرجع السابق ص 8

[2]. أمبرتو إيكو، المرجع السابق ص 9

[3]أرنست كاسيرر (1945/1874)فيلسوف ألماني ومؤرخ فلسفة ينتمي إلى ما يسمى بمدرسة ماربرج في الفلسفة الكانطية الجديدة .... كأبرز شارع للفلسفة النقدية الكانطية في القرن العشرين.

[4]سعيد بن كراد، أستاذ السيميائيات والدراسات الأدبية الحديثة.

-بدأ إيكو مدخل كتابه بمقولة وهي: "المهم هو الكلمات : أما الباقي فمجرد لغو" وينطلق من افتراض وجود مواطن إيطالي السيد سيغما وهو في عطلته في باريس يحس بآلام في بطنه، هذا الإحساس سيدفع به نحو محاولة تمثله عبر قراءاته وتجاربه في الحياة، ليصير تحديده للألم تحديدا ثقافيا، ويظهر ذلك في قوله: "إنه يحاول بذلك ربط تجربته الشخصية بسمة تجعلها قابلة لأن تقارن بتجارب أخرى سبق أن منحتها كتب الطب أو المقالات الصحفية اسما[1]"، بعد ذلك سيعمل "سيغما" على تسنين آلامه رغبة في تحقيق تواصل ممكن مع الطبيب، وهو تسنين سيتم عبر البحث عن كلمة تعيّن آلامه وتجعل الطبيب يتواصل معه.

ويسوق "إيكو" هذه الحكاية ليؤكد على كون الإنسان يتواصل في إطار سياقات ثقافية محددة والتي تتحكم بشكل قوي في تسنين الرسائل عبر قواعد محددة، وضابطة ومنظمة لتموقعات الأشياء في المكان وعبر مجموعة من الأنساق العلاماتية التي تعين على تحقيق وتوجيه مقصدية التواصل، هكذا فإن المواطن الإيطالي الذي ألف التعامل مع أنساق ثقافية في محيطه (إيطاليا) عبر التفكيك و التركيب ، سيجد نفسه أمام أنساق محكومة بقواعد مغايرة في سياق ثقافي مغاير "فرنسا" ليجد نفسه مجبرا على الدخول في شبكة من الأنساق العلاماتية، والتي تتوزع بين أنساق لها علاقة بالممارسة بالفعل اليومي وبين أنساق لها علاقة بالمواقف والتموضعات تجاه قضايا محددة، وكلاهما يندرجان في إطار التفاعل الاجتماعي، الشيء الذي جعل "إيكو" يتساءل حول ما إذا كانت العلامات هي التي تمكن الإنسان من العيش في المجتمع؟ أم أن المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان ليس سوى انتشار معقد لأنساق علاماتية، يجد الإنسان نفسه مجبرا على تفكيكها واستثمارها بغية التفاعل مع محيطه، وهي أنساق لا ترتبط فقط بالمدن الصناعية التي تكثر فيها الأضواء والمصابيح، وإنما توجد حتى بالنسبة للإنسان القروي، فهو يعيش داخل فضاء علاماتي، غير أن آليات التواصل مع محيطه تختلف عن فضاء المدينة، فإذا كان صيادا فسيكفيه أثر بسيط للأقدام أو غيرها من الآثار ليعرف نوع الحيوان الذي عبر المكان ومن هنا نستنتج أنه حتى ولو كان الإنسان قروي إلا أنه سيعيش وسط العلامات وهذا ما أشار إليه إيكو في كتابه حيث يقول: "... والخلاصة أن السيد سيغما حتى ولو كان غارقا وسط عالم طبيعي فإنه سيعيش وسط العلامات[2]" في حين أن هذه العلامات لا

[1] أمبيرإيكو "العلامة ، تحليل المفهوم وتاريخه" ت: سعيد بنكراد، دار النشر : كلمة، ط1، 2004، ص27.

[2] أمبيرتوإيكو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ت: سعيد بنكراد، دار النشر : كلمة والمركز الثقافي العربي، ط1، 2004، ص34.

تشكل بالنسبة لإنسان ترعرع في المدينة أي شيء، إلا في الوقت الذي سيتعلم فيه قراءتها، بمعنى أنه سيصير ممتلك لمجموعة من السنن التي ستمكنه تأويل المعطيات الطبيعية، والتي تتحول عبر التفكيك إلى معطيات ثقافية منظمة لعلاقة الإنسان بمحيطه، هكذا ينطلق "إيكو" لرصد مفهوم العلامة كمفهوم استعمل بمعنى أوسع في تاريخ التفكير الفلسفي، مؤكدا على صعوبة تحديد المفهوم سواء في استعمالاته اليومية، أو التفكير الفلسفي وحتى العودة إلى المعاجم لا تمكن من الحصول على تحديد دقيق "للعلامة".

وفي هذا السياق يحاول تقديم مجموعة من التحديات، حيث تتحدد العلامة كأمارة أو غرض: كشيء مرئي يقدم معلومات حول أشياء غير مرئية، وتحدد كذلك كسمات فيزيقية، مثل: لطخة أو ندبة والتي تشكل علامات محددة ومميزة، وتحدد كذلك كحركة إرادية عبرها يتم التعبير وتوصيل أمر: رغبة، تهديد، معلومة، وتحدد على كونها طريقة بموجبها يتم تمثيل الشيء بواسطة صورة سمعية بصرية، و كعنصر بصري يحيل على صورة سمعية بصرية أو على كلمة أو على شيء أو موضوع، وتحدد كذلك كرمز حيث انطلاقا من مميزاتها الشكلية تعين حدثا أو قيمة مثل: الصليب أو الحمامة... وتحيل بطريقة واسعة وغير محددة على أحداث أو قيم، هكذا يقدم إيكو مجمل التحديات التي تقدمها المعاجم للعلامة. وفي هذا السياق يميز بين العلامات الخالية من المقتصدية (معطيات طبيعية) والعلامات الاصطناعية والتي وضعت من أجل تحقيق التواصل، ويرى أن قراءة لهذا المجموع من التحديات تكمن من جهة، من ملاحظة المميزات المشتركة بين أنواع العلامات ومن جهة ثانية، ومن ملاحظة المميزات التي تكمن التفريق بين مستويات هذه الأنواع، وعلى أساس هذه اللعبة بين المشترك والمختلف طرحت العديد من التصنيفات والتعريفات للعلامة منذ القدم، ويظهر ذلك في قوله: " وفي جميع الحالات نلاحظ ونحن نقرأ هذه التعريفات ، من جهة وجود سمات مشتركة بين كل أنواع هذه العلامات ، ومن جهة ثانية وجود خصائص تسمح لنا بتمييز مجموعات متعددة من هذه الأنواع، فلقد تبلورت منذ القدم استنادا إلى لعبة الخصائص المشتركة والمختلفة، مجموعة من التعريفات الخاصة بالعلامات[1]".

[1] أمبيرتوإيكو: العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ت: سعيد بنكراد، دار النشر ،كلمة والمركز الثقافي العربي، ط1، 2004، ص55.

حيث تتبع هذا المسار سيمكن من بناء فينومينولوجيا* العلامة، في هذا الإطار يضع تمييزا بين القول الفلسفي والقول اللساني أو السيميوطيقي*، حيث القول بكون الإنسان يتواصل لأنه حيوان رمزي يبدوا قولا فلسفيا في حين أن تقديم توصيف للطرائق التي يتواصل بها الإنسان والآليات التي تحكم علاقة التدليل هو تقديم لا يحيل على اللسانيات أو مباحث أخرى، متسائلا حول ما إذا كانت السيميوطيقا هي شكل تقني في فلسفة المعنى، أو هي تقنية بحث في فلسفة اللغة من أجل الحديث عن العلامات، ليؤكد ارتباط السيميوطيقا كمستوى تقني بالفلسفة والإشارة إلى ضرورة طرح مشكل العلامة في مستوى التفكير في بناء فلسفة خاصة بالعلامة دون إغفال تقديم إضاءة لكلمة "فلسفة" و"علامة" باعتبار كون كل خطاب يكون مجبرا على مراقبة حقله المفاهيمي تجنبا للالتباس والمغامرة في التوظيف والاستثمار، وفي نهاية مدخله قدم لنا "إيكو" ملخصا لما سيطرحه في فصول كتابه الخمسة.

في الفصل الأول "السيرورة السيميائية" يدرس "إيكو" العلامة باعتبارها عنصرا داخل السيرورة التواصلية والتي تستعمل من أجل نقل معلومة معينة أو تعيين شيء ما على هذا الأساس تصير منخرطة في العملية التواصلية التي تتم انطلاقا من مرسل، قناة، رسالة، مرجع، متلقي، سنن و هذا ما يؤكده قوله "تستخدم العلامة من أجل نقل معلومات، ومن أجل قول شيء ما، أو الإشارة إلى شيء ما يعرفه شخص ما يريد أن يشاطره الآخر هذه المعرفة، إنها بذلك جزء من سيرورة تواصلية من نوع: مصدر- باث-قناة-إرسالية-مرسل إليه[1] " ويفترض وجود سنن مشتركة بين المرسل والمتلقي، والسنن كما هو محدد من قبل "إيكو" هو جملة من القواعد التي تمكن اكتساب العلامة للمعنى فهو يقول "إن السنن هي الشروط الأساسية والكاملة للعلامة، إن عرضا مرضيا يعد علامة في حدود وجود سنن (الذي يشكل السيميولوجيا الطبية) وذلك في استقلال عن قصدية المريض[2]" ويرى أن العلامة ليست فقط عنصرا من المسار التواصلي وإنما هي أيضا تسامهم في مسار المعنى، وكل مسار تواصلي خال من السنن يصير خاليا من المعنى، وسيختزل فقط إلى مسار من المحفزات والاستجابات.

*فينومينولوجيا :علم الظواهر : هي مدرسة فلسفة تعتمد على الخبرة الحدسية للظواهر كنقطة بداية (أي ما تمثله هذه الظاهرة في خبرتنا الواعية) ثم تنطلق من هذه الخبرة لتحليل الظاهرة وأساس معرفتها بها.

* سيميوطيقا: علم العلامات: علم يدرس أنساق العلامت والأدلة والرموز سواء كانت طبيعية أو اصطناعية.

[1] أمبيرتوإيكو،: العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ت: سعيد بنكراد، دار النشر، ملمة والمركز الثقافي العربي، ط1، 2004، ص47.

[2] المرجع نفسه، ص49.

ويقارن "إيكو" في هذا المستوى بين أشعة ضوئية تجبر الإنسان على إغلاق العينيين بدون تفكير (محفز – استجابة) في حين يجد المرء نفسه في المستوى الثاني ملزما على فهم الأمر عبر تفكيك سنن الرسالة (سيرورة سيميائية) لاتخاذ قرار بالقبول أو الرفض.

وهذا يشكل انتقادا واضحا للطرح السلوكي الذي يلخص العملية التواصلية في توالد خطي للمحفزات والاستجابات وقد يتحول هذا الأخير إلى محفز مولد لاستجابات جديدة.

ويدرس كذلك " العلامة باعتبارها عنصرا داخل سيرورة دلالية، ويأخذ "إيكو" "الفرس" كعلامة لتوضيح أهمية السنن والمرجع كأساسين نظامين للعلاقة بين الدال والمدلول، حيث يرى أن معنى الفرس لا تعني شيئا بالنسبة لرجل من الإسكيمو باعتبار عدم امتلاكه للسنن، حيث يقول إنه إذا أردت أن أفسر له هذا المدلول فسأقوم بترجمة الكلمة إلى لغته، أو أن أقوم بتقديم تحديد أو تعريف له بخصوص ما تعنيه كلمة "فرس" على ورقة. هكذا عوض تفسير الدال وتوضيحه للمتلقي، نمنحه دوال أخرى (لغوية، بصرية...) نسميها بمؤول العلامة، وعلى الرغم من اعتماد أنساق بصرية ولغوية وكيفما كانت العمليات التي أخضع إليها هذا الإنسان، فليس هناك يقين من تواصله إلى تفكيك السنن وفم الدال، فجميع أنواع "الخيول" الموجودة والتي ستوجد تشكل مرجعا بالنسبة للمدلول. وبما أن الخيول تشترك في مميزات وتختلف في أخرى، فهي تجعل مفهوم المرجع ملتبسا وفي هذا الصدد وضع "إيكو" مثلثا لتبيان ما تحدثنا عنه سابقا[1].

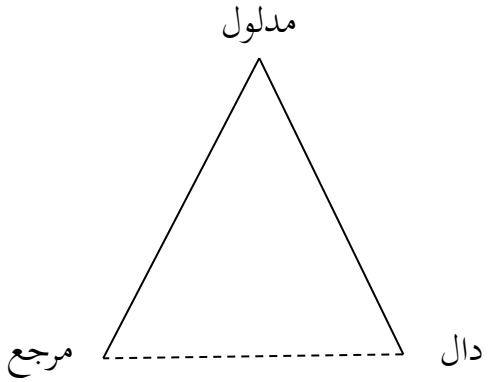

[1] أمبيرتوإيكو: العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ، ت: سعيد بنكراد دار النشر : ملمة والمركز الثقافي العربي، ط1، 2004، ص52.

وهذا ما يبرر وجود خط متقطع بين الدال والمرجع في المثلث، ويؤكد إيكو أن العلاقة بين "الدال والمدلول" في هذا المستوى هي علاقة اعتباطية وتعود أهمية هذا المثلث إلى كونه يمنح إمكانية تنظيم مجموعة من التحديدات المتعلقة بالحدود الثلاثة كالتالي[1]:

المؤول (بيرس)

المرجعية (رتشارد – أوغدن)

القصدية (كارناب)

المعنى (فريجه)

القسم (موريس)

المدلول (موريس)

التصور (دوسوسير)

إيحاء(س–ميل)

صورة ذهنية (دوسوسير– بيرس)

المضمون (هلمسليف)

حالة وعي (بويسنس)

[1] المرجع نفسه، ص54.

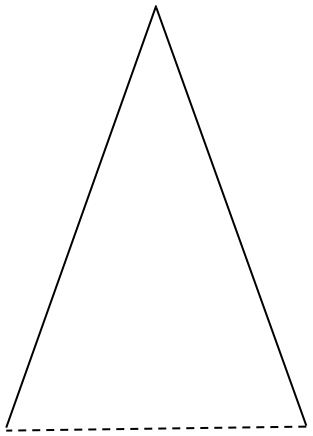

وتأمل بسيط لهذا المثلث يفرض ضرورة الحذر من استعمال هذه المفاهيم دون الإحالة إلى مرجعيتها باعتبار أن ما قد يشكل مدلولا بالنسبة لمرجعية فكرية قد يصير دالا لمرجعية فكرية مغايرة، ويظهر ذلك في قوله: "**وكما هو واضح، فإن الحس السليم –الشيء الذي يتقاسمه الناس جميعا– يتفق مع التوزيع الثلاثي، ولا يستعمل نفس المفاهيم، فالبعض ذهب إلى حد اعتبار /المدلول/مرجعا، واعتبر / المعنى/ ما نطلق عليه نحن المدلول**[1]"

ولا يخفي "إيكو " كون هذا المثلث لا يخلو من الالتباس، حيث يطرح السؤال التالي: ما هو الشق الذي يشكل علامة في هذا التصنيف؟ ويرى في محاولته للخروج من هذا المأزق المفاهيمي المرتبط بتاريخ سجالي، إنه إذا اعتمدنا دوسوسير* نجد أن العلامة مشكلة من وجهين هما **الدال** و **المدلول**.

في حين أن المرجع الموجود في الشق الأيمن من المثلث لا يمتلك موقعا ثابتا في اللسانيات، ومن جهة ثانية يطرح مشكل متعلق بإمكانية إحالة دال على مدلولات متعددة، حيث تصير العلامة أكثر تعقيدا، ويرى أنه حتى على مستوى الخطاب الفلسفي فإن "علامة " تستعمل غالبا كمرادف "للدال" أي باعتبارها "شيئا يوجد من أجل

[1] أمبيرتوإيكو: العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ، ت:سعيد بن كراد، دار النشر: كلمة والمركز الثقافي العربي، ط،2004، ص55.

* دوسوسير 1857–)1913عالم لغوي سويسري شهير يعتبر بمثابة الأب للمدرسة البنيوية في علم اللسانيات.

شيء آخر" . وهذه الإشكالات المرتبطة بتصنيف العلامة كعنصر في السيرورة التواصلية والدلالية تعود أساسا إلى كون "العلامة" تفهم دائما على كونها "**شيئا يوضع مكان شيء آخر**"، حيث يحدد "بيرس" العلامة باعتبارها شيئا ما ينوب عن شيء ما بموجب علاقة ما ويرى "إيكو" أن تحديد "بيرس" يعني أن العلامة لا تنوب بشكل كلي عن موضوعها.

وقد اقترح موريسc.morris ثلاثة مستويات للنظر إلى العلامة: المستوى الدلالي: حيث النظر إلى العلامة في علاقتها بالمدلول، المستوى التركيبي: حيث النظر إلى مجموع القواعد والمزاوجات التي تحكم علاقة العلامة بعلامة أخرى من جهة، ومن جهة ثانية رصد البيانات الداخلية لدال العلامة، المستوى التداولي: حيث النظر إلى العلامة في ارتباطها بأصولها وأثر هذه الأصول أو المرجعيات على المتلقي والعلاقة التي يعقدها هذا الأخير بين العلامة ومنابعها الأصلية.

ويتم التمييز في إطار البحث في الوحدات السيميوطيقية الصغرى للعلامة، بين علامات بسيطة وعلامات معقدة، حيث فنحان يشكل علامة بسيطة وفنجان قهوة يشكل علامة معقدة، وعلى الرغم من صعوبة تحديد الوحدة الدلالية الصغرى في العلامة، فإن هذا التمييز يجعل إيكو يتساءل حول ما إذا كان مجلول العلامة المعقدة ليس سوى مجموع مدلولات العلامات البسيطة المكونة لها.

في الفصل الثاني "تصنيف العلامات" يدرس فيه "معايير تصنيف العلامة" وأول معيار درسه هو "باعتبار منبع العلامة" حيث التوجهات الحديثة تروم إدخال جميع الإشارات ذات الوظيفة التواصلية، سواء بالنسبة للإنسان أو للكائنات الحية، ويلخص "إيكو" هذا التصنيف عبر الخطاطة التالية[1]:

[1] أمبيرتوإيكو: العلامة تحليل المفهوم وتاريخه ، ت:سعيد بن كراد، دار النشر: كلمة والمركز الثقافي العربي، ط،2004، ص64.

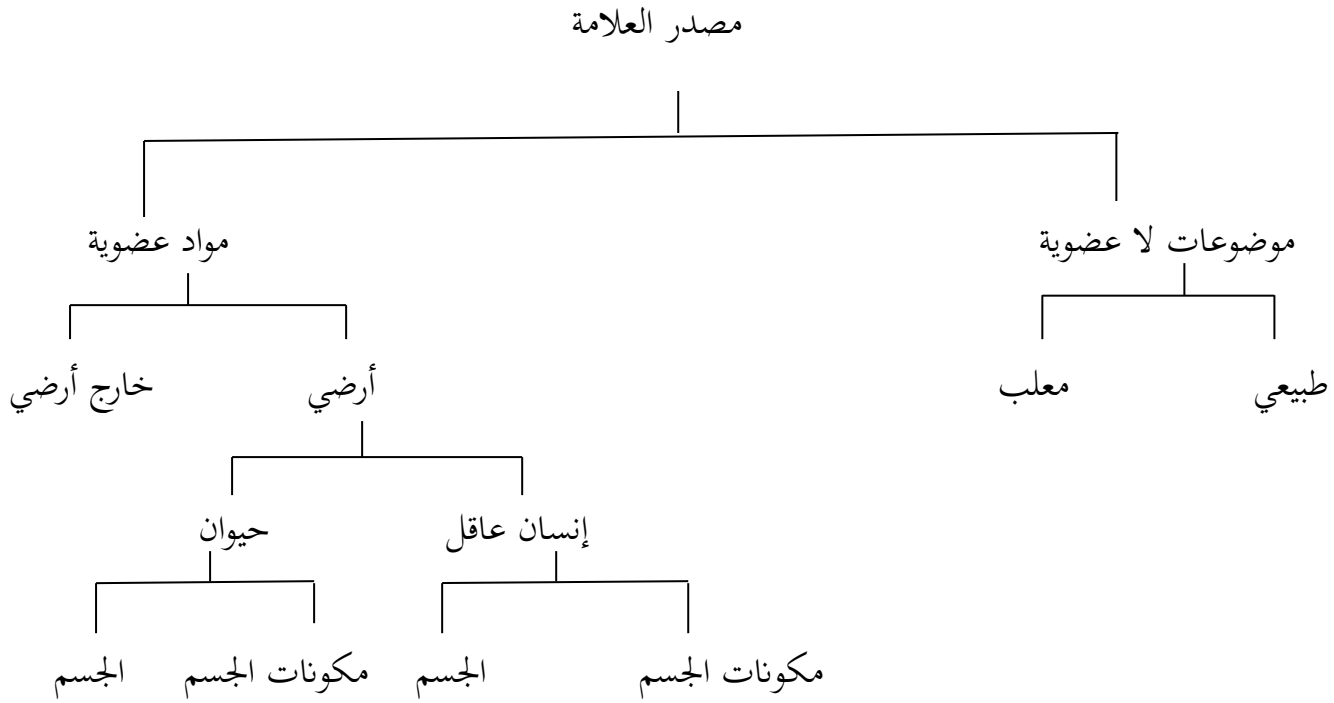

أما المعيار الثاني فهو: **"باعتبار الدلالة والاستنتاج"** يتم التمييز منذ القدم بين العلامات الاصطناعية والعلامات الطبيعية، بالنسبة للأولى هي الموضوعة بشكل واع بهدف تحقيق التواصل، ويتعلق الأمر بالكلمات، الرموز الخطية، الرسومات، ونوتات الموسيقى،...إلخ وتشترط دائما مرسلا يشكل مصدر العلامة، في حين بالنسبة للثانية هي التي لا تحتوي على مرسل مقصدي والتي لها مصدر طبيعي، والمؤولة كمؤشرات أو أعراض، وهناك إقرار لدى الكثير من الدارسين يكون العلامات الطبيعية هي ظواهر حاملة للمعنى، إذ عبرها يمكن إيجاد تأويلات للعالم أو الفضاء، بالاستناد على تجارب سابقة تمكن من تعميق القراءة، وهذا في إطار ما أسماه كريماص "بسيموطيقا العالم الطبيعي". وفي هذا السياق يرى "موريس" كون "الشيء لن يكون علامة إلا إذا تم تأويله باعتباره علامة على شيء من لندن مؤول[1]".

غير أن هذا التحديد قد يوهم بكون العلامة لا تشكل سوى ظاهرة تحيل على وجود ظاهرة أخرى فقط وفي هذا الصدد يقول "إيكو" "إن المعترض على هذه المواقف قد يأخذ علينا أننا نعتبر علامة كل ظاهرة ستنتج منها

[1]. أمبيرتو إيكو،المرجع السابق،ص65

ظاهرة أخرى لا أقل ولا أكثر [1]" في حين أن هذه الإحالة لا تقف عند حدود التواصل فقط، وإنما تصير موسعة ومنتشرة في مسار ثقافي عام، فكلمة "خيل" كعلامة تخيل على مفهوم في إطار عملية تواصلية بسيطة، لكنها حين تندرج في إطار توظيف بلاغي، كأن تصير كناية تعين الكل عبر جزء من الأجزاء، فإنما تتجاوز حدود مستوى العلاقة بين السبب والنتيجة أو الكلمة والمفهوم، لتنخرط في مستويات خطابية أكثر تعقيدا، بحيث يمكن رصد مجموعة من السياقات التي توظف فيها كلمة خيل والتي لا تحيل بأي شكل من الأشكال على الخيل كحيوان، الشيء الذي يفرض عملا تأويليا.

أما المعيار الثالث هو اعتبار العلامات ذات المظهر السيميوطيقي لقد سبق التمييز بين العلامات الطبيعية والاصطناعية، بحيث إذا كانت العناصر الطبيعية تشكل علامات بالإعتماد على مرتكزات، فهل يمكن اعتبار جميع الأشياء الاصطناعية علامات؟ يشير إيكو منذ البداية إلى كون جميع العلامات الاصطناعية قد وضعت لغاية إيصال معنى محدد كإشارة المرور مثلا، غير أن هناك علامات لم توضع بغرض التواصل مثل: السيارة، اللباس، البيت...

إلا أن التوجهات الحديثة في السيميوطيقا تدمج جميع المظاهر الثقافية والاجتماعية في مراتب تصنيف العلامة، حيث صارت العلامة الوظيفية أهم فصل من فصول السيميوطيقا، فكثيرون هم السيميوطيقيون الذين أكدوا على إمكانية على إمكانية وجود "سيميوطيقا الأشياء " في المجتمع الإستهلاكي، حيث صار ينظر إلى الهندسة المعمارية كنسق تواصلي على الرغم من كون المهندس قد هندس الأشياء باعتبار وظيفتها، فهي تراكم وظيفة مغايرة في انشغالاتها الدلالية والثقافية، ونفس الشيء يتم ملاحظته بالنسبة للملابس والسيارات.

ويرى إيكو أن هذا المعيار في تصنيف العلامة ينفتح على تحديد جديد للعلامة يقدمه عبر الخطاطة التالية[2]:

[1] أمبيرتو إيكو،المرجع نفسه،ص65

[2] أمبرتوإيكو: المرجع السابق، ص72.

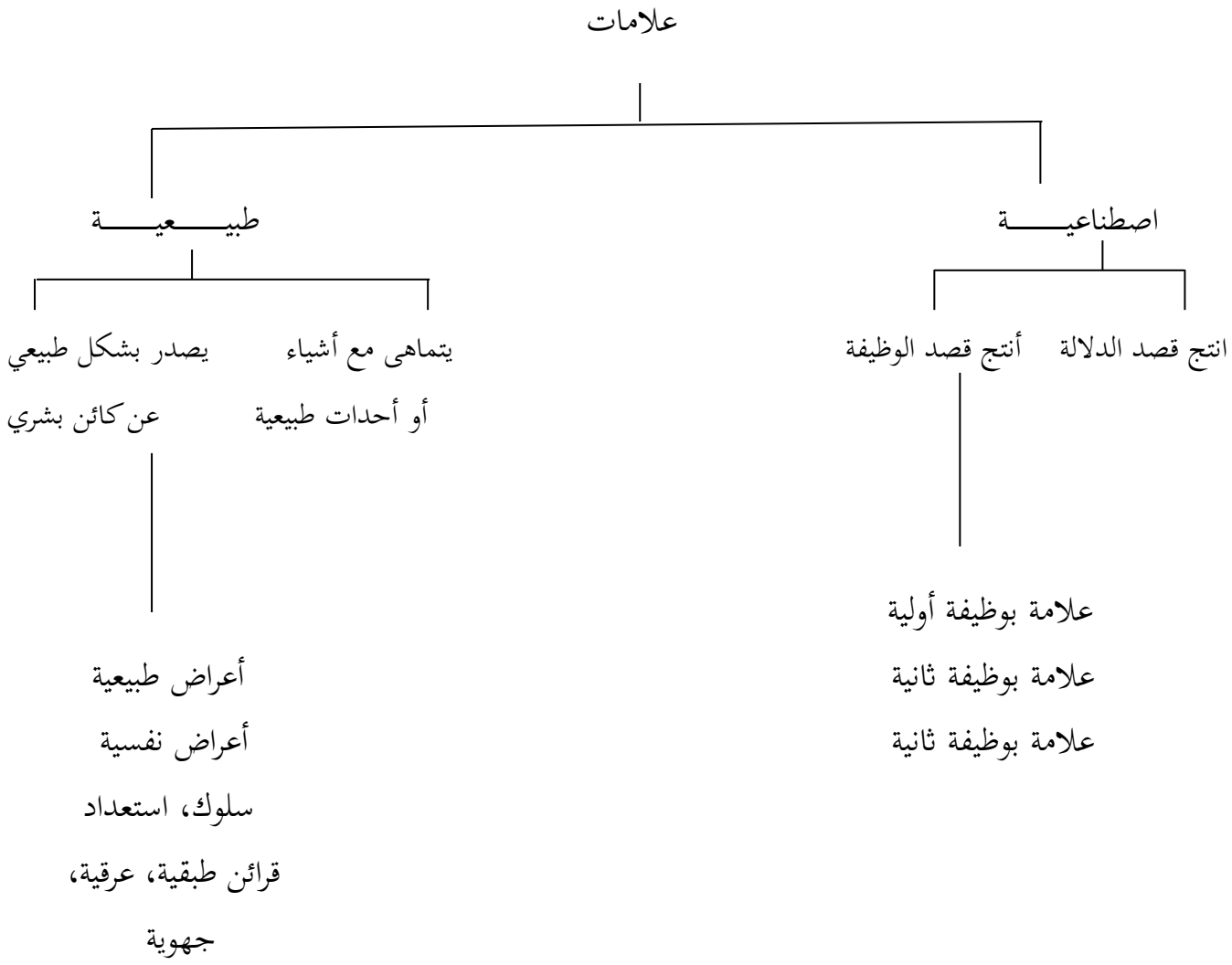
علامات
اصطناعيـــــة
طبيـــــعيـــــة
انتج قصد الدلالة
أنتج قصد الوظيفة
يتماهى مع أشياء
أو أحدات طبيعية
يصدر بشكل طبيعي
عن كائن بشري
علامة بوظيفة أولية
علامة بوظيفة ثانية
علامة بوظيفة ثانية
أعراض طبيعية
أعراض نفسية
سلوك، استعداد
قرائن طبقية، عرقية،
جهوية

أما المعيار الرابع فهو باعتبار مقصدية العلامة ودرجة وعي المرسل: يتم التمييز في هذا المعيار بين العلامات الحاملة لمقصدية تواصلية، والعلامات التعبيرية والموضوعية، بدون وجود مقصدية مباشرة واضحة ومعلنة للتواصل، ويرى "إيكو"أن الأولى هي التي تخضع للتسنين (مع الإشارة إلى كون العملية التواصلية هي مراوعة بين تركيب السنن decodage) بمعنى وجود قواعد ناظمة للعلاقة بين الدال والمدلول في حين لا تفهم الثانية إلا عبر التخمين وهي هاربة من أي تسنين، وهذا قد يعود إلى غياب خليفة معرفية مشتركة بين المرسل والمتلقي، وقد يعود إلى التوظيف والاستثمار المتعدد للعلامة خصوصا في مستوى الخطاب البلاغي مع الإشارة إلى كون العلامة في هذا المستوى لا تندرج في إطار سيميوطيقا الخطاب حيث تصير عنصرا منتظما ضمن العناصر البانية.

أما المعيار الخامس فهو باعتبار قنوات تلقي العلامة: حيث يتم تصنيف العلامات في هذا المستوى باعتبار القناة، عبر البحث في الكيفيات التي يتلقى بها الإنسان العلامة، ويتعلق الأمر هنا بالجهاز الفيزيولوجي الذي عبره يتلقى الإنسان مجموعة من الإشارات الآتية عبر قنوات مختلفة والتي يحولها إلى خطابات فالشم: هو قناة للتلقي حيث رائحة الطعام هي علامة على وجود الطعام، اللمس يشكل قناة للتلقي خصوصا النسبة للصم...

أما المعيار السادس فهو باعتبار العلامة بالمدلول: حيث تم التأكيد منذ القدم على كون الكلمة الواحدة يمكن أن تدل على أشياء مختلفة وهي هذا الإطار يتم التمييز بين: علامة ذات مدلول واحد حيث العلامة ليس لها سوى مجلول واحد، وهذا له علاقة بالكلمة المترادفة، فالعلامتان تحيلان على نفس الشيء، وعلامة ذات مدلولات متعددة، حيث العلامة الواحدة يمكن أن يكون لها مدلولان متمايزان وعلامة متعددة المعاني والتي يمكن أن توجد بقوة الإيحاء، بمعنى أن المدلول الثاني يرتكز حول الأول، كما هو الحال في مستوى الاستعارة أو بشكل عام في المعنى المزدوج، وعلامة عائمة والمسماة أيضا رمزا، وهي علامات لها مدلولات غير محددة، حيث الرمز هو ذلك الشيء الهارب من أي تحديد صرف، خصوصا بالنسبة للنص الشعري حيث تصير العلامة نتيجة استراتيجية نصية، وقد لخص لنا إيكو هذه التصنيفات في الخطاطة التالية[1]:

[1] أمبرتوإيكو، المرجع السابق، ص87.

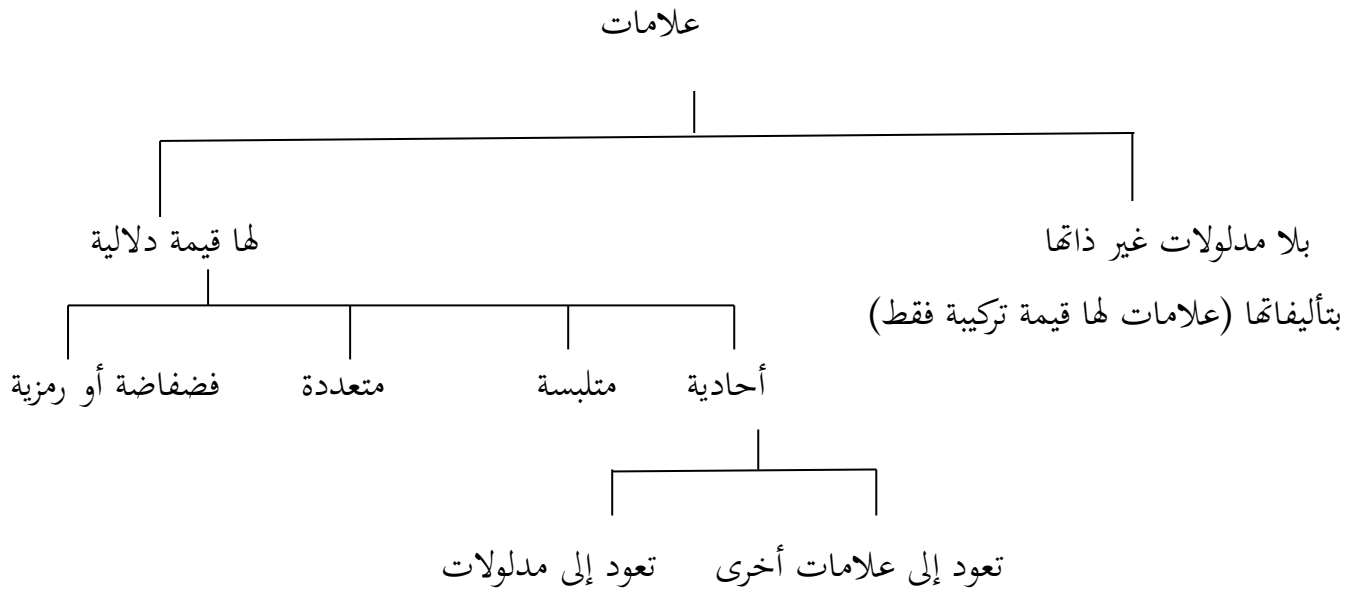

أما المعيار السابع فهو باعتبار إنتاجية الدال: ويتميز إيكو في هذا المستوى بين العلامات الأصلية التي توظف جزءا من مرجعها وبين العلامات التي لا يشكل المرجع دالا وإنما على العكس يشكل الدال مرجعيا: فحين يتم التفكير في قطعة نقدية من الذهب التي تعني (X غرام من الذهب)، فلا يمكن إنكار كون هذه القطعة النقدية تصير علامة انطلاقا من النفع الذي يمكننا جنيه من ورائها، ولكن أيضا انطلاقا من القيمة المادية التي أنتجت من خلالها، وانطلاقا من هذا التمييز يفصل "إيكو" بين العلامات التي لها قيمة تبادلية ضعيفة وبين العلامات التي أنتجت أساسا لتحمل في ذاتها قيمة تبادلية مثل: قطعة الذهب، ويجوز إيكو هذه التمييزات في المستوى عبر الخطاطة التالية[1]:

[1] أمبرتو إيكو: المرجع السابق، ص90.

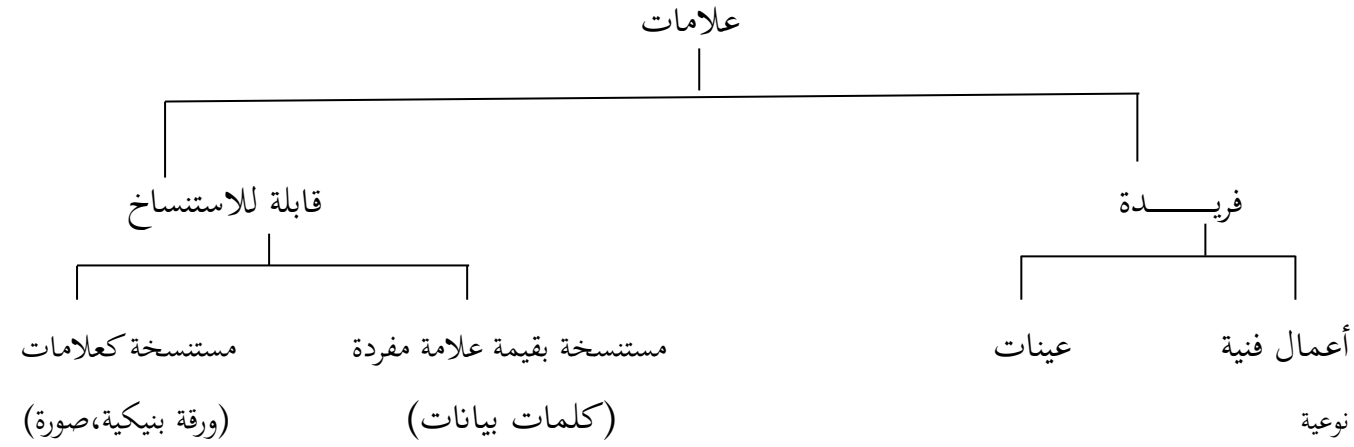

إن العلامة النوعية أو الكيفية حسب بيرس هي "نوع أو كيف يعتبر علامة" مثل: نبرة الصوت، اللون، القماش... والعلامة المفردة هي "شيء أو حدث له وجود واقعي، يعتبر علامة" ولا يمكنها أن تكون كذلك إلا عبر خصائصها، بطريقة تشترك وجود علامة نوعية (الكلمات يمكن أن تكتب بالأحمر أو أي لون دون أن تفقد خاصيتها أو يمس هذا مدلولاتها) لكنهما يتوقفان على علامة ثالثة هي علامة القانون حيث هي: "قانون بشكل علامة" وهو قانون مؤسس في غالبيته من قبل الناس، فمثلا: الورقة النقدية هي علامة مفردة، حيث العلامة قانون تضع مساواة بينها كورقة وبين قدر من ذهب، مانحة الورقة قيمة كعلامة نوعية متجسدة كورقة نقدية.

أما المعيار الثامن فهو باعتبار نوع الترابط المفترض بالمرجع إن العلامة عند "بيرس" تعقد علاقة محددة مع الموضوع، وفي تحديده لهذه العلاقة ميز بين المؤشر وهو علامة تربطها علاقة مادية سببية بالموضوع الذي تحيل عليه مثل: الدخان كمؤشر على وجود النار، شريطة أن تكون النار غير مرئية. والأيقون علامة تحيل على موضوعها بموجب المشابهة مثل: الصورة الشخصية كعلامة إيقونية على الشخص أو خارطة المغرب كعلامة أيقونية على المغرب كفضاء جغرافي، والرمز علامة اعتباطية لارتباطها بموضوعها أي علاقة، كالميزان للإحالة على العدل أو الحمامة في إحالتها على السلم، وينبغي أن نشير إلى كون هذا التقسيم هو تقسيم إجرائي، باعتبار العلامة الواحدة قد تصير أيقونا ومؤشرا أو رمزا حسب السياقات الموظفة فيها وفي هذا الصدد يقول إيكو: "...وهي أن هذه العلامات يمكن النظر إليها أحيانا باعتبارها مؤشرات، وأحيانا أخرى باعتبارها أيقونات،

وأحيانا رموزا، وذلك وفق الظروف التي تتبدى فيها، وكذا الاستعمال الذي تمنحه إياه الدلالة[1] "وهذا الكلام لا يعني بيرس وإنما يعني الذين يقومون باجتثات هذه المفاهيم واستثمارها بعيدا عن التعالقات التي تعقدها مع باقي المفاهيم البانية للنظرية السيميوطيقية لدى بيرس، ذلك أن الأيقون والمؤشر والرمز لا تشكل علامات إلا عبر اندراجها في السيرورة السيموطيقية.

ويؤكد بيرس أن الأيقون والمؤشر والرمز لا تشكل علامات وإنما تشكل مستويات سيموطيقية.

أما المعيار التاسع والأخير فهو باعتبار الأثر الذي تحدثه العلامة على المتلقي: يشير إيكو إلى أن شارل موريس حاول في هذا السياق تصنيف العلامة باعتماد معايير سلوكية، إذ يقوم بالربط بين العلامة والمحفز، فهو يشير إلى أن القول بكون العلامة هي محفز تأهيلي يشتغل في غياب محفز حقيقي، يعني أن العلامة هي محفز، والحال أن الأمر ليس كذلك تماما، مما جعل إيكو يصف تصنيفات موريس بالخطيرة، ويشير إلى كون المفكر الوحيد الذي عمل على تقديم تصنيف عام يراعي جميع المستويات هو بيرس، غير أن تصنيفاته تبقى غير تامة، لذلك يرى إيكو أنه من الصعب فهم كيف يصير الأيقون صورة فوتوغرافية، صورة ذهنية، قاعدة هندسية، وكيف يصير بإمكان اسم واحد أن يكون مؤشرا ورمزا في نفس الوقت ، فبالنسبة لبيرس العلامة هي نتيجة علاقة ثلاثية:

1/ العلامة في ذاتها: وهي إما نوعية أو مفردة أو قانون.

2/ العلامة في علاقتها بموضوعها: وهي إما أيقونية أو مؤشرية أو رمزية.

3/ العلامة في علاقتها بالمؤول: وهي إما حملية أو خبرية أونفصيلية أو برهان.

وعبر المزاوجة بين هذه المراتب تتشكل عشر طبقات وهي:

1- علامة نوعية، أيقونية، حملية. 2- مفردة، أيقونية، حملية. 3- مفردة، مؤشرية، تفصيلية. 4- مفردة، مؤشرية، تفصيلية. 5-قانون، أيقون، حملية. 6- قانون، مؤشر، حملية. 7- قانون، مؤشر، تفصيلية. 8- رمزية، حملية، قانون. 9- تفصيلية، قانون، رمز. 10- برهان، رمز،قانون.

[1] أمبرتوإيكو، المرجع السابق، ص95.

وهذا يعني بالنسبة لإيكو أن العلامة بإمكانها تقديم خصائص متمايزة حسب السياق الذي تم عبره توظيفها.

في الفصل الثالث المقاربة البنيوية يدرس إيكو ما يلي:

1/ اللغة كبنية وكنسق: لقد عمل إيكو في هذا المستوى على رصد مختلف المقاربات البنيوية للعلامة، ويرى أن هذه المقاربات هي التي منحت القوة لمبحث العلامات ويظهر ذلك جليا فيقوله: "ولكننا لا يمكن أن ننكر أن التيار البنيوي هو الذي وفر في القانون العشرين الشروط الأساسية لدراسة العلامات[1]".

ويشكل مفهوم البنية أهم مفهوم لدى هذا التوجه اللساني، ويبرز في تمييز دوسوسير 1916 بين اللسان والكلام، حيث هذا الأخير هو فعل فردي، عبره يمنح الفرد مظهر اللغة.

واللسان هو نسق له القابلية للتوصيف بطريقة مجردة ويفرض مجموعة من العلاقات، وأهم مثال يقدمه في هذا المجال هو لعبة الشطرنج، حيث يرى أن نسق العلاقات بين العناصر تتغير في كل تنقل، بحيث كل عملية يترتب عنها تغيير في قيمة العناصر الباقية، ويعني بالدراسة السانكرونية تحليل العلاقات بين العناصر من زاوية غير تطورية (دياكرونية)،وفي هذا السياق يتم التأكيد على كون الإنسان لوحده لا يملك إمكانية إحداث تغييرات في نسقية اللغة، وهذا يعني أن النسق اللغوي يقترح على الذوات المتكلمة جملة من القواعد والمزاوجات التي ينبغي احترامها، حيث الذات المتكلمة تجد نفسها مجيرة على استعمال نفس العلامات للإحالة على نفس المفاهيم.

2/ المستوى الاستبدالي والمستوى التراكيبي: ويشير إيكو في هذا المجال إلى وجود مجموعة من التوجهات اللسانية التي تشير إلى التمفصل المزدوج للغة، حيث التمفصل الأول يصير ضروريا لوجود الثاني، فالمزاوجات بين العناصر (مورفيمات، مونيكات) على المستوى الاستبدالي يؤدي إلى تشكل وحدات أكثر اتساعا على المستوى التراكيبي، هكذا فاللغة انطلاقا من فونيمات قليلة (28 في اللغة العربية) تنتج عددا لا متناهي من المونيمات، ويحدد الفونيم باعتباره وحدة صغرى لها مميزات صوتية خلافية، وقيمتها مرتبطة بعلاقتها التقابلية والخلافية مع العناصر الأخرى.

[1] أمبرتوإيكو، المرجع السابق، ص115.

3/التقابل والاختلاف:

فالفونيمات تشكل على المستوى الاستبدالي نسقا من التقابلات، فكل تواصل وكل معنى يتمظهر حول قاعدة من الخلافات المنتظمة داخل النسق، وتجدر الإشارة إلى كون مفهوم التقابل يشكل مفهوما مركزيا في اللسانيات البنيوية.

حيث تدرس الصواتة (phonetique) القوانين الناظمة للأصوات عبر رصد المميزات الخلافية التي تتصف بها عبر ارتباطها بمخارج الحروف، وهو مبحث يعقد علاقة صميمية بالفونولوجيا والتي تدرس اللغة كنسق من القواعد الخلافية.

4/الوظيفة السيميوطيقية:

يعود المفهوم إلى هلمسليف الذي عمل على تحديد طبيعة وانتظامات العلامة عبر التمييز التالي[1]:

مضمون مادة

شكل

تعبيـــر شكل

مادة

بحيث في المسار السيميائي، تجد عناصر التعبير ما يقابلها على مستوى المحتوى وهذا ما قال به إيكو حيث يقول: "فداخل كل سيرورة سيميائية نكون أمام عنصر يعود إلى التعبير (سنسميه دائما دالا) وهو كيان حامل لعنصر ينتمي إلى المضمون (المدلول)[2] مع الإشارة إلى كون شكل المحتوى وشكل التعبير لا يشكلان سوى اقتطاع بسيط، فهناك على مستوى مادة التعبير عدد لا متناهي من الأصوات في حين لا يتجاوز عدد الأصوات

[1] أمبرتوإيكو: المرجع السابق، ص136.
[2] المرجع نفسه، ص136.

المتقطعة في بعض اللغات40 صوتا ولا يقل عن24 صوتا، وانطلاقا من هذا التمييز يعتبر هلمسلف كون العلامة ليست شيئا ينوب عن شيء آخر، هي وظيفة مطروحة بموجب العلاقة بين التعبير والمحتوى، في حين يتم استعمال الصوت (س) للإحالة على (القمر) فهذا لا يجعل من هذا الصوت علامة على القمر، ولا نكون أمام وظيفة سيميوطيقية إلا أثناء وجود قاعدة تربط بين (س) كمستوى تعبيري و(القمر) كمستوى من المحتوى، إذ يمكن توظيف (س) للإحالة على (زحل) عبر علاقة رابطة لنجد أنفسنا أمام وظيفة سيميوطيقية جديدة عل الرغم من كون (س) بقي ملتصقا بمادته، هكذا فالعلاقة بين التعبير والمحتوى هي علاقة متبادلة، حيث التفكير بدون كلام لا يملك محتوى لسانيا وأيضا الكلام بدون تفكير يبقى في حدود كونه متوالية من الأصوات لا تمتلك معنى".

5/ الإيحاء والتعيين:

يشير إيكو في هذا المستوى إلى اختلاف في توظيف مفهوم التعيين أو التصريح، لدى هلمسليف والبنيويين، وفلاسفة اللغة، بحيث يشكل المستوى التصريحي لكلمة بالنسبة للفلاسفة، في الغالب مجموع الأشياء التي ترتبط بها والعالم الذي تحيل عليه، هكذا يصير مفهوم التعيين مرتبطا لديهم بالمرجع، فكلمة (أبيض) تعين جميع الأشياء البيضاء، في حين أن اللسانيات لا تهتم بالعلاقة بين العلامة والمرجع وإنما بالتكوينات الداخلية للعلامة وقدرتها على التدليل و هذا ضمن العلاقة بين الدال والمدلول، فإذا أخذنا الوحدة المعجمية "أم" فاللسانيات لا تطرح السؤال حول الكيفية التي تحيل بها الوحدة المعجمية على موضوع محدد، باعتبار أن لذلك ارتباطا بالمظاهر الاستعمالية للغة، وهي لا تهتم بالإحالة الاستعارية للوحدة المعجمية "أم" باعتبار هذه الإشكالات تندرج ضمن الإهتمامات المركزية للمبحث التداولي.

ويطرح همسلف تحديدا خاصا للنفهومين (الإيحاء والتعيين) في إطار التمييز بين السيميوطيقا التعيينية والسيميوطيقا الإيحائية، وسينطلق رونال بارث، فيما بعد، من هذين التحديدين لرسم الخطاطة التالية[1]:

[1] أمبرتوإيكو، المرجع السابق، صص140.

السيميائية التقريرية:

تعبير	مضمون

السيميائية الإيحائية:

تعبير		
تعبير	مضمون	مضمون

في المستوى الأول التعبير بعين المحتوى، في المستوى الثاني تتحول مستويات السيميوطيقا إلى تغيير يعين محتوى جديدا، هكذا فإذا أخذنا الوحدة المعجمية كلب كتعبير يحيل في المستوى الأول على محتوى "حيوان ثديي، في حين يتحول هذا المستوى إلى تعبير يوحي في المستوى الثاني (السيميائية الإيحائية)بمحتويات إيحائية متسعة، لتصير الوحدة المعجمية عائلة على (الوفاء، الكراهية، العناء...)، وليصير الإيحاء في هذا المستوى محكوما بتحديدات السنن اللغوي الاجتماعي، خصوصا في إطار التوظيفات البلاغية والإيديولوجية، هكذا تصير التركيبات العلاماتية منفلتة من أي تحديد معجمي، وتتوقف إمكانية القبض على مستوياتها الإيحائية على السياق العام وعلى نوع الخطاب الذي تنتظم فيه".

6/ نسق المحتوى:

يشير إيكو في هذا المستوى إلى أنه كانت هناك دائما محاولات لبناء نسق للمحتوى، ويرى أن إنجازات قريماس1966 تعتبر من أهم المحاولات في هذا المجال، حيث يرى كريماس كون الوحدات الدلالية الصغرى تنتظم حسب الأسهم التقابلية البانية للأسهم الدلالية، هكذا فإن التقابل بين المرأة والرجل يتم عبر مقوم الجنس الذي يشكل سهما دلاليا ، غير أن المرأة والتي يعتبرها وحدة دلالية تصير محطة التقاء مجموعة من المقومات الدلالية، على سبيل المثال مقوم الأنوثة الذي يبني علاقة تقابلية مع مقوم الذكورة، هكذا تصير الوحدة المعجمية محطة إلتقاء مجموعة من الأنساق الدلالية المختلفة والتي تعقد فيما بينها علاقة تراتبية.

7/ القاموس والموسوعة:

وقد طرح أيضا مشكل المحتوى في مجال المعجم والموسوعة، وهما نموذجان مجردان يعرضان إمكانية تقديم وصف لشكل وعينا السيميوطيقي، فإذا كان المعجم يسعى نحو تقديم معرفة لسانية فقط، فإن الموسوعة تأخذ بعين الاعتبار معرفتنا حول العالم، ويرى كاتز 1972 أن المعجم ينبغي أن يفسر الظواهر التالية:

1/الترادف:(كيف يكون بإمكان كلمتين أن تدلا على نفس الشيء؟).

2/ الاختلاف والمشابهة: (لماذا نجد أن بقرة وخالة لهما نفس المكون الدال؟).

3/التضاد: (كما هو الشأن لساخن وبارد).

4/ اسم نوعي: (كيف يفيد اسم الإحتواء والشمول مثل: حشرة لجميع أنواع الحشرات، والاسم المندرج مثل: ذبابة بالنسبة إلى حشرة)، (زهرة هي اسم مندرج بالنسبة إلى وردة وهما اسمان نوعيان)

5/الانتظام والشذوذ الدلالي: ("صابون معطر" يقدم معنى، وليس "حكة معطرة" على الأقل في مستوى المعنى المباشر).

6/الإلتباس الدلالي: ("قنبلة" يمكن أن تعني سلاحا وفاكهة).

7/ الحشو الدلالي: ("خالي رجل مذكر" تقدم معلومة غير واضحة).

8/ الحقيقة التحليلية: (حسبها الملفوظ "الأخوال هم الرجال" هو دائما حقيقي باعتبار تعريف "الخال").

9/ العلاقة التناقضية: (والتي تجعل "الأخوال هم الإناث" هي دائما خاطئة باعتبار نفس التعريف).

10/ الحقيقة المركبة: ("الأعمام كرماء" ليست لا كاذبة ولا حقيقة بالنسبة إلى تعريف المعجم "للعم").

11/ التنافر: (المبدأ الذي يجعل من "زيد حي" و "زيد ميت" لا يمكنهما أن يشكلا حقيقة في نفس الوقت).

12/ التضمن: ()حيث الملفوظ "هذه الوردة حمراء" يتضمن "هذه الوردة ل.....".

13/ السؤال العديم الفائدة: (الملفوظ "هذا العم هو الذكر؟" تتضمن في ذاتها الجواب).

14/ الإفتراض: ("أين هي عمتي؟" يترض وجود عنتي في مكان معين).

ومن أهم الإشكالات في المعجم تتعلق بعدم معرفة ما إذا كانت المميزات الدلالية للوحدة المعجمية تحليلية والخصوصية التركيبية، فليس هناك ما يسند تحليل الرجل بالمميزات (إنسان، ذكر...) والمشكل الثاني يتعلق بكون قدرتنا الدلالية تأخذ شكل الموسوعة، وحيث يتم الخلط بين معرفة حول العالم وبين معلومات لسانية، ومن بين الإجابات التي يقدمها الموسوعيون ترتكز حول نفي وجود اختلاف بين معرفة العالم والمعرفة اللسانية، باعتبار إندراجهما في المعرفة في المعرفة الثقافية كمعرفة أوسع، من جهة ثانية الموسوعة لا تدمج بشكل دائم المعارف المعجمية.

8/ الوحدات الثقافية:

يرى إيكو أن كل تأويل للعلامة يشكل وحدة ثقافية أو دلالية في ثقافة معطاة، وهي وحدات تنظيم في نسق من التقابلات، وهذا النسق يترجم الطريقة التي تقوم بها ثقافة معينة باقتطاع من العالم ما هو مناسب لها، وبالتالي تكوين شكل المحتوى، الخيل كعلامة (سواء كانت بصرية أو لغوية) تحيل على موقع محدد في نسق الوحدات الثقافية.

9/ الموسوعة والنسق الدلالي:

إن العرض الذي تقدمه الموسوعة، حيث المؤولات محددة كوحدات ثقافية، يفترض وجود نسق دلالي عام والذي ينبغي أن يماثل مجموع معارفنا حوا العالم، ويبقى من الصعوبة تحديد ووصف هذا النسق، ليس فقط بسبب سعته ولكن أيضا بسبب كون الوحدات الثقافية تخضع دائما لإعادة البنية في الدائرة غير المحدودة للسيميو زيس، إما بسبب الإندفاع نحو إدراكات جديدة أو بسبب تناقضاتها المتبادلة، هكذا تسير الحياة الثقافية، ويؤكد إيكو على أن الثقافة مصممة كنسق لأنساق علاماتية والتي عبرها يصير مدلولا لدال جديد، كيفما كان نوع نوع النسق المعني (كلمات، أشياء،بضاعة، أفكار، قيم، أحاسيس، حركات، سلوكات...) على سبيل المثال: أحمر في أضواء

المرور يبني علاقة تقابل مع أخضر وهو تقابل يحيل على تقابل آخر هو ممنوع في مقابل مسموح على هذا الأساس فالأسهم الدلالية تتبنين حسب السياق. أي بالنظر إلى الفعل الاجتماعي (سياسي، اقتصادي، أخلاقي...) لذلك فالعلامات تشكل قوة اجتماعية وليس وسائل بسيطة تعكس القوى الاجتماعية.

في الفصل الرابع "أنماط الانتاج السيميائي":يدرس فيه:

1/تفصلات العلامة غير اللسانية:

حيث يتم التساؤل في هذا المجال حول ما إذا كان النموذج المصاغ في المجال اللساني له لقابلية على جميع أنساق العلامات، وقد فام بريتو 1966 بفحص أنساق العلامات الاصطناعية والإعتباطية، لنأخذ المثال التالي:

الشكل b فهو لملفوظ معقد يعني "ممنوع للدرجات" حيث يتشكل من علامتين في المستوى الأدنى، قرص أبيض محاط بشريط أحمر يدل على المنع، و الدراجة تتعلق بأمر مرتبط باستعمال الدراجة، وتجزيئي هذه العناصر إلى وحدات صغرى سوف لن يكون لها مدلول في ذاتها، ويمكن لهذه العناصر أن تدخل في مزاوجات أخرى بانية لمدلول مغاير... حيث تطبيق مبدأ التمفصل على مختلف الأنساق سيمكن الحصول على توصيف دقيق لهذه الأنساق في خصوصيتها.

2/ حدود النموذج اللساني:

في هذا المجال ينطرح مشكل متعلق ببنية العلامة وخصوصا بالنسبة للعلامات "الإيقونية" أو "المؤشرية" والتي تعرض في شكل وحدات متمايزة، بالإضافة إلى كون ما يسمى بالعلامات الإيقونية يعاد بها إلى مستويات أخرى من العلامات، على هذا الأساس تتم مقاربة هذه العلامات باعتبار صيغ انتاجها، وحتى التحليل الداخلي لهذه العلامات يتم انطلاقا من هذه القاعدة، إضافة إلى ذلك فالعلامة "الإيقونية" يمكن أن تفكك إلى عناصر صغرى خالية من المعنى، فإذا تأملنا صورة فسنجدها تتشكل من مجموعة من العناصر الصغرى المنتظمة في شبكة، وهذه العناصر بإمكانها أن تكون مرتبة حسب تقنيات الإنتاج المتبعة، حيث يمكننا أن نرى تقابلا بسيطا بين الأبيض

والأسود أو نسق الأحجام المختلفة...، وفي كل الحالات، هذه العناصر تتعالق فيما بينها لتكوين الملفوظ الأيقوني.

والسؤال هنايتعلق بما إذا كان بإمكان العلامة أن تنفلت من النموذج اللساني؟ والمشكل يتعلق هنا بكيف يصير بالإمكان صياغة تعريف عام يناسب النموذج اللساني وباقي النماذج من العلامات؟

3/صيغ إنتاج العلامة:

يؤكد إيكو أنه في هذا المستوى لا نجد أنواعا من العلامات كما هو الشأن في التصنيفات التقليدية، لكن نجد أنواعا من صيغ لإنتاج العلامة، ويرى أن العمل المادي الضروري لإنتاج تعبيرات تنطلق من تعرف بسيط لشيء هو حامل بشكل مسبق لوجود مادي إلى إنتاج لمناقشات أو حجج أو إجابات حول هذا الشيء إلى درجة ابتكار تعبيرات غير موجودة مرورا بعرض الشيء، هكذا يميز بين أنواع من العمل المادي، على سبيل المثال: حدث أو شيء ما نتج من قبل الإنسان أو الطبيعة، والذي وضع في علاقة مع محتوى معين من قبل مؤول إنساني والذي لم يسهل في إنتاج هذا الحدث أو الشيء، مثل: أثر حيوان ما، أعراض مرضية، مؤشرات ... أو حين يعين شيء موجود بشكل مسبق كممثل للطبقة التي ينتمي إليها، سيجارة معزولة تحيل على السجائر، أو حين أقلد حركات فارس على الرغم من أنني لا أملك سيفا، فأنا أقوم بجزء من فعل عام لأنقل معنى.

إن التعبير يرتبط بالمحتوى عبر التعاقدات الثقافية، فجميع الأشياء تشكل علامات باعتبار اندراجها في سياق ثقافي، فالهندسة تشكل تعبيرا عن محتويات وظيفة الهندسي علامات بسيطة، فالهندسة لمعمارية تشكل نصا تتداخل فيه ظواهر إنتاج سيميائية متمايزة، فعلى سبيل المثال: السلم قد يعين وظيفته، لكنه قد يوحي بدلالات أخرى مرتبطة بسياق الاستعمال، ونحن نتعرف على السلم دائما في المستوى التصريحي أو التعييني لكن المستوى الإيحائي ندمجه دون أن نعي ذلك في غالبية الأحيان.

في الفصل الخامس والأخير القضايا الفلسفية للعلامة: يدرس فيها إيكو:

1/ الإنسان حيوان رمزي: هو اعتبار لا يتعلق فقط باستعمال اللغة، هو قول يرتبط بالمستوى الثقافي ككل : المدينة، المؤسسات، العلاقات الاجتماعية، الملابس... كلها تشكل وغيرها أشكالا رمزية، وكلها تدرج في إطار عملية تواصلية كبرى، فهناك إنسان حيث يوجد المجتمع، وتبعا لذلك هناك مجتمع حيث يوجد سوق لتبادل العلامات.

فالثقافة إن برزت للوجود حين وضع الانسان آليات للتحكم في الطبيعة لكن هذه الآليات لم تظهر هكذا إلا بعد تشكل النشاط الرمزي، وفي هذا الصدد يقول إيكو: "لقد قيل إن الثقافة ولدت عندما استطاع الإنسان أن يبلور أدوات من أجل السيطرة على الطبيعة، وكانت هناك فرضية أخرى تقول أن وضع الأداة رهين في وجوده بوجود نشاط رمزي"[1].

وبوجود هذه الأدوات أو الآليات إنوجدت الثقافة، وبمجرد ظهور الأنشطة الرمزية ظهرت اللغة ولقد أكد البعض أن هذه اللغة ينبغي أن تكون لفظية، وأن التلفظ هو شكل التفكير، وأنه لا يمكن التفكير بدون كلام، على هذا الأساس اعتبر بارث أن السيميولوجيا هي فصل من اللسانيات، وأن هذه الأخيرة هي التي تمتلك القابلية للتفسير، ليس فقط بنية عقولنا، وإنما أيضا لا وعينا.

ففي اللغة يوجد بالفعل فرق بين الذات المتلفظة والموضوع المتلفظ به، اختلاف يفسر السيرورة التي عبرها تخرجنا اللغة من وضع كببي لإدماجنا في وضع ثقافي، في حين يعبر الطفل فيقول "أنا". فالذات كمعطى مادي تتداخل في الأنا اللغوية كالأنا الثقافية، تصبح الذات هنا سجينة اللغة، تتشكل داخلها ولن تتوصل أبدا إلى التحرر منها.

2/ الطبيعة كلغة إلهية:

يطرح إيكو في هذا المستوى جملة من الأسئلة حيث التساؤل حول ما إذا كان الكون في كليته والأشياء المكونة له لم تكن سوى علامات تحيل برعونة إلى تأويلات خارجية والتي تكون عالم الأفكار؟ وحول ما إذا كان العالم رسميا من إنتاج الله، الذي قام بتنظيم الأشياء الطبيعية ليجعل منها أدوات للتواصل مع الإنسان؟

[1] أمبيرتو إيكو، المرجع السابق، ص 204

إن جميع الأشياء التي من خلالها نبني علاقات هي بشكل مسبق علامة على ذاتها وتشكل نسقا رمزيا مؤثثا للكون، حيث اعتبر العالم غابة من الرموز لدى التوجه الإنساني.

ومع بيركلي سيتعلق الأمر بالعالم كنسق رمزي وإدراكي له وظيفة سيميوطيقية صرفة، وهذه الأنساق الفكرية تبين كيف كونت الإنسانية هندسة رمزية واسعة، بحيث لم يعد الله هو الذي يتحدث إلى الإنسان عبر العلامات ولكن الله الذي يتشكل في التاريخ عبر مشاهد رمزية–ثقافية كبرى.

3/ اللغة صوت الكائن:

هناك فلسفة عريقة ترى في اللغة استعارة غير واعية، ويرى إيكو أن السير في هذا الإعتقاد يؤدي إلى التنصيص على كون اللغة الاستعارية (وبالتالي الشعرية) هي فقط الوسيلة المثلى لمعرفة أصلية ولتواصل حقيقي، والإنسان ليس هو الذي يصنع اللغة لكي يهيمن على الأشياء، لكن الأشياء هي التي تتمظهر عبر اللغة: هي صوت الكائن، والحقيقة ليست اللغة سوى تعرية للكائن.

4/ العلاقة بين العلامة والفكر والواقع:

يرى إيكو أن التفكير الفلسفي انخرط دائما في إشكالية العلاقة بين العلامة والواقع: وهي إشكالية انتظمت عبر خمس أطروحات:

أ. هناك علاقة بين شكل العلامات (ملفوظات) وشكل التفكير، وتبعا لذلك هناك علاقة بين الانتظامات المنطقية والانتظامات السيميوطيقية.

ب– هناك علاقة بين العلامات البسيطة والأشياء التي تعينها عبر المفهوم كوسيط، وأيضا هناك علاقة سيميوطيقية بين العلامة والمفهوم.

ج– هناك تعالق بين شكل العلامة المعقدة وشكل الأشياء التي تصفها.

د– هناك علاقة بين شكل العلامة البسيطة وشكل الموضوع الذي تحيل عليه.

ي- هناك علاقة وظيفية بين العلامة والموضوع الذي تحيل عليه، وبدون هذا الارتباط تصير العلامة مفرغة من أية قيمة تصريحية.

ويرى إيكو أنه ما دام الأمر يتعلق بسيميوطيقا العلامة وليس بسيميوطقا النص فينبغي ابعاد الفرضيتين (أ وج)

قانون العلامة و قانون التفكير :

يرى إيكو أنه من بين الإشكالات الأولية التي حاول الأقدمون معالجتها، تتعلق بمعرفة ما إذا كانت انتظامات العلامات تنتج انتظامات التفكير، وطبعا حول ما إذا كان هذا الأخير ينتج انتظام الأشياء، والعملية تفترض التعرف أولا على كل واحد على حده قبل طلاح العلاقة القائمة بينهما وإشكالية العلاقة في المجال اللسني تتعلق بما إذا كانت اللغة تخضع، أولا، لنسق من القواعد العقلية والكونية الثابتة، والأمر هنا يتعلق بإشكالية أنطولوجية تفترض علاقة انعكاسية بين اللغة، التفكير والواقع.

وقد حاولت اللسانيات التوليدية البرهنة على وجود النسق الكلي فتشومسكي يؤكد على كون البنية العميقة التي تحكم المعنى، هي بنية مشتركة بين جميع اللغات، في حين أن الاختلاف بين اللغات هو اختلاف ناتج عن القواعد التحويلية التي تنقل البنية العميقة إلى البنية السطحية، والمشكل الذي يشكل مركز السحال، هو استقلالية أو عدم استقلالية قوانين التفكير وقوانين اللغة، والقيمة الكونية لهذه القوانين عبر المسار العام للسانيات والفلسفة، فالفلسفة المراكسية -كنموذج- لم تبتعد عن جوهر اللسانيات الديكارتية، فمثلا يؤكد ستالين في الماركسية والمشكلات اللغوية إنه بما أننا نفكر باستعمال العلامات فهذا يعني أنه لا يوجد تعارض بين قوانين العلامة وقوانين التفكير في الوقت الذي كان تطر فيه التأكيد على المستوى الدياليكتيكي، على العلاقات التاريخية التي تعقدها اللغة مع الشروط الاقتصادية في مرحلة محددة، والتي حكمت تطور اللغة، وتبعا لذلك تحديد اللغة باعتبار وظيفتها التعبيرية عن الإيديولوجيات.

ويتداخل في هذا المستوى التساؤل حول طبيعة العلاقة بين شكل العلامة وشكل الموضوع التي تحيل عليه عنصر وسيط.

2-4 التمظهرات الأولية للمرجع: المفهوم كعلامة على الشيء:

يرى إيكو أن الإشكالية، في هذا المستوى تتعلق بالكيفية التي تعين اللغة وفقها المفاهيم، وحول ما إذا كانت المفاهيم علامات ذهنية لأشياء واقعة؟ ويرى أنه لا يوجد مفكر ينفي وجود الأشياء؟ وطبعا فالعلامة يمكنها أن تكون أقل أو أكثر ارتباطا بالشيء في الحدود التي يمثل فيها الشيء جوهرا كليا متعرفا عليه من قبل العقل ومعبرا عنه بواسطة العلامات، وجميع الاقتراحات العلمية في هذا المجال ترتكز أساسا على المفاهيم، هذه المفاهيم التي تشكل بدورها علامات قابلة للعزل عن أشياء متميزة، والمسار الذي يمكن من تشكيل مفهوم معين ينبغي أن يكون هو نفسه الذي يمكن من انبعاث العلامة، وقد عمل إيكو في هذا المستوى على عرض وجهات نظر متمايزة لفلاسفة متباعدين زمنيا.

وفي عرضه هذا اعتبر جون لوك أب السيميوطيقا الحديثة ، حيث أكد هذا الأخير على كون العلوم تنقسم إلى ثلاثة مستويات: الفيزياء: وتبني معرفة حول الأشياء المجسمة والروحانيات، التجريب: وهو نسق يقود أفعالنا، السيميوطيقا: وموضوعها معرفة العلامات، ويضيف "لوك" إلى أنه عبر السيميوطيقا، فقط، يمكننا إنتاج منطق ونقد من نوع جديد، ويرى أن الكلمات لا تعبر عن الأشياء وإنما تحيل على الأفكار، وعلى هذا الأساس تنبني العلاقة الاعتباطية بين الكلمات والأشياء، والعناصر الوسيطة بين الكلمات والأشياء هي نفسها اعتباطية. هكذا لم يعد المفهوم، كما هو الشأن لدى المدرسين في القرون الوسطى، انعكاسا بسيطا للشيء أو صورة للشيء.

ويرى إيكو أنه مرورا ببيركلي وهيوم و كانت عملت الفلسفة المعاصرة على صياغة مفهوم الإدراك، وسيركز أساسا في هذا المجال على بيرس وهوسيرل معتبرا أن الإدراك عند بيرس هو سيرورة افتراضية والتي تشكل الوسيط المباشر للبرهنة عبر الاستدلال: ويتعلق الأمر بفرضية مشكلة حول قاعدة غير متحقق منها ويفرض التأكد منها، انطلاقا من استقراءات متتالية وعبر مراقبة استنتاجية، ويقدم إيكو في هذا السياق الأمثلة التالية: مثال الاستنتاج عبر الاستدلال[1]

_ جميع مناديل هذه العلبة بيضاء.

[1] أمبرتوإيكو، المرجع السابق، ص234.

_ مصدر هذه المناديل هو هذه العلبة.

_ إذن هذه المناديل بيضاء.

_ ومثال عن الاستقراء

حالة: مصدر هذه المناديل هو هذه العلبة.

نتيجة: إنها بيضاء.

قاعدة: من المحتمل أن تكون مناديل هذه العلبة بيضاء.

ومثال عن الافتراض:

نتيجة: أعثر على مناديل بيضاء فوق الطاولة.

قضية: من أين أتت هذه المناديل.

قاعدة: إذا افترضنا أن كل مناديل هذه العلبة بيضاء.

وإذا افترضنا أن هذه المناديل مصدرها هذه العلبة

... إذن أصل هذه المناديل لم يعد يشكل مشكلا.

أما بالنسبة لهوسيرل فيرى "حين أعلن إسناد تعبير لإدراكي، فهذا يمكن أن يعني أني ألصق بإدراكي محمولا هو هذا المحتوى أو ذاك... فالشيء الأحمر هو متعرف عليه كشيء أحمر وهو مسمى أحمر بفضل هذا التعرف" (أبحاث منطقية ص218).

فالفينمونولوجيا الإدراكية تعتبر تلاقيا بين الأسماء التي تعين حدسا معينا وتمامية هذا الحدس والذي يبحث على أن يكون محددا عبر الاسم، والفعل الدينامي الذي يشكل التعرف يتضمن إسناد معنى للشيء الذي يتشكل في الإدراك.

ويرى إيكو كون إعادة قراءة للدراسات الفينمونولوية الكلاسيكية يمكن أن تفتح الطريق نحو سيميوطيقا الخطاب، وهي تبعا لذلك سيميوطيقا لا تأخذ بالاعتبار التعاقدات التي تحكم اشتغال العلامات، وإنما السيرورة نفسها المنتجة للعلامات.

4-3 التمظهر الثاني للمرجع: شكل الملفوظ وشكل الحدث

يتساءل إيكو في هذا المستوى حول ما إذا كانت أشكال العلامات المعقدة تعكس في انتظاماتها و تتابعاتها انتظام وتتابع الوقائع الحقيقية؟ ويشير إلى كون بعض الفلاسفة يؤكدون وجود هوية بنيوية بين الحدث والملفوظ، وتبعا لذلك القول يكون انتظام الرموز يعكس انتظام الظواهر التي يقدم توصيفا لها، وطرح إيكو لهذا الإشكال يعود أساسا إلى علاقته الصميمية بمفهوم العلامة الإيقونية.

4-4 المظهر الثالث للمرجع: الإيقون

يشير إيكو إلى أن السؤال الذي تطرحه الفلسفة حاليا بتعلق بطبيعة العلاقة الانعكاسية المتبادلة بين العلامة والشيء؟ هل اسم الشيء هو نتيجة طبيعية لهذا الشيء؟ وتبعا لذلك هل التركيبة الصوتية للاسم تحترم تركيبة الشيء المسمى؟

والإشكالية في هذا السياق تتعلق بمفهوم الإيقون، والذي يحدده بيرس كالتالي: "الإيقون هو علامة تحيل على الموضوع الذي تعين ببساطة، بموجب المميزات التي تمتلكها، سواء كان هذا الموضوع موجودا أم لا" ويرى إيكو أن اعتماد هذا التجديد في مستواه الاختزالي قد يشكل فخا. بحيث يضيف بيرس إلى الإيقون الصيغ البيانية (ليست لها علاقة محسوسة مع موضوعها، لكن أجزاء من الشيء تعقد علاقة مشابهة مع أجزاء أخرى من الشيء ذاته) ، ويضيف كذلك الإستعارة باعتبارها عرضا للخصائص التصويرية للممثل عبر عرض متوازي في شيء آخر، ويرى إيكو أن بيرس يقول في مستوى آخر بأن الإيقون هو صورة ذهنية، والإيقون الذهني هو مجموع الصور البصرية التي تحيل عليها العلامة.

ويؤكد بيرس على كوننا نفكر بواسطة الإيقون، يقول:

"الملفوظات المجردة ليست لها قيمة في الاستدلال إن لم تسعفنا في بناء رسومات خطية إذ هل يمكننا تصور إمكانية التفكير في الحركة بدون أن نتخيل شيئا ما وهو في حركة؟ ضمن هذه السياقات التحديدية التي يعرضها بيرس حول الإيقون، يشير إيكو إلى أن الإيقون لا يوجد سوى في الوعي، على الرغم من التبسيط المخل الذي يمنح اسم الإيقون لأشياء خارجية، على سبيل المثال اعتبار الصورة الفوتوغرافية إيقونا هو قول استعاري صرف، فالإيقون هو الصورة الذهنية التي تحدثها هذه الصورة، وأكثر من هذا فالصورة الفوتوغرافية حسب بيرس هي أيضا مؤشر يثير انتباهنا حول تقطيعات الواقع الذي يعاد إنتاجه أيقونيا، ضمن هذا المساق تفهم تأكيدات الفلاسفة على كون السيرورة السيموطيقية تشابه السيرورة المجردة للفكر".

ويعتبر إيكو أن مفهوم الشكل يشكل مرتكزا أساسيا لمفهوم الإيقون، حيث يمتلك هذا الأخير المميزات الشكلية للموضوع الذي يحيل عليه، هكذا تصير التعبيرات الجبرية والصيغ البيانية لدى بيرس علامات أيقونية، فعلى الرغم من كونها لا تمتلك مميزات الموضوع، فهي تنتج بالفعل تعالقات شكلية، بحيث لماذا تعتبر الخوارزمية أيقونا؟ لأن العلاقات المجردة المعبر عنها عبر $(x+y)_z = xz+yz$

هي شكليا مدركة بصريا، ويقدم إيكو مثالا إضافيا مرتبطا بالشكل القياسي[1]:

كل "م"هو "ب"

أي "س" هو "م"

إذن أي "س" هي "ب"

وهو تشكل إيقوني باعتبار العلاقة بين الأطراف، حيث الحد الوسط المتموقع بين الحد الأول والثالث يمنح نفسه للرؤية، ويرى إيكو أن العلامة لا تنحبس هكذا في ذاتها ومن أجل ذاتها في استقلال تام عن باقي العلامات، فهي لا تولد إلا تكون تأويلا لعلامات أخرى، وكون العلامة الأيقونية ليست شبيها بواقع معين، فهي علامة أنتجت لإيجاد هذا التمظهر الذي نسميه مشابهة وهذه العلاقة السببية بين العلامة والموضوع الذي تحيل عليه

[1] أمبرتو إيكو، المرجع السابق، ص243.

ليست نتيجة لطبيعة الموضوع، ولكنها تكمن في التعاقد أو الاصطلاح المرتبط بالعلامة في ذاتها، وهذا التعاقد هو ما يجعل العلامة وحدة أو عنصرا ثقافيا.

5/ المظهر الرابع للمرجع: الموضوع كإحالة على العلامة:

إن القول يكون العلامة تعين أو تشير إلى موضوعها، يجعل من الضروري التساؤل حول ما إذا كانت تحيل على موضوع حقيقي يمكن التأكد منه تجريبيا، وتمثل العلاقة السببية بين الأشياء والمفاهيم وأيضا بين العلامة وموضوعها من أكبر مشكلات العلامة، في هذا الإطار اقتراح فريجه تمييزا يعين المثلث الدلالي[1]:

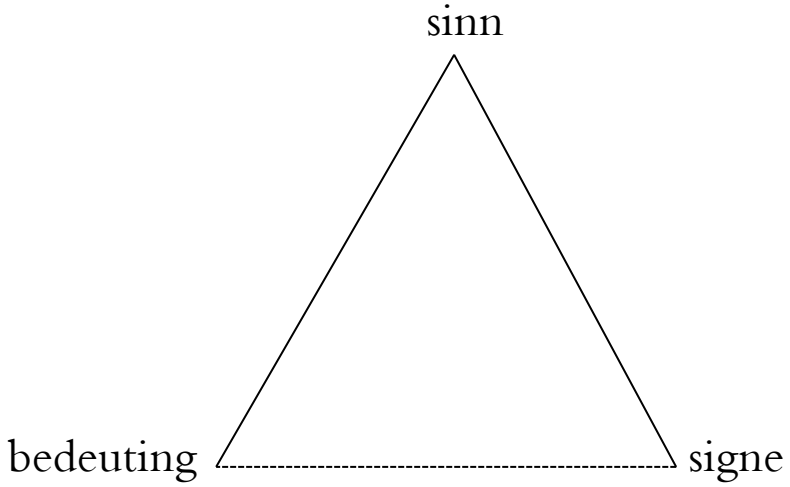

ويرى إيكو أن البيدوتينك bedeuting ، والذي يترجم أحيانا بالمرجع وأحيانا بالتعيين وأحيانا بالمدلول (حسب الحمولة الدلالية التي يمتطيها) يفهم منه أحيانا على أنه موضوع متميز، وأحينا كطبقة من الموضوعات، وهو بالنسبة لفريجه يشكل "قيمة صدق القضية" في حين أن السين sinn ، والذي يترجم غالبا بالمعنى، هو الطريقة التي وفقها يحضر الموضوع في العقل، والمثال الذي يقدم في إطار التمييز بين المفهومين يتم عبر الثنائية "نجمة المساء" و "نجمة الصباح"، فعالم الفلك في القدم سيرى جسمين فضائيين مختلفين، في حين أن التعبيرين يحيلان على فضاء واحد وهو فينوس، هذا الكوكب هو إذا تعيين، مرجع للعلامتين معا، في حين أن هناك

[1] أمبرتو إيكو،المرجع نفسه، ص 254.

معنيان، وضمن هذا السياق المرتبطة بالعلامة، المعنى، المرجع، المقصدية عمل إيكو على عرض وجهة نظر المناطقة المرتبطة بعملية الاستدلال على صحة أو خطأ الملفوظ، وهذا يشترط التأكد مما إذا كان يحتوي على مرجع بالإرتكاز على معطيات تجريبية.

وفي إطار نفس النفس يشير موريس إلى أنه إذا كانت الدلالة ترصد العلاقة بين العلامة وموضوعاتها، فإنها ترصد أيضا العلاقة بين العلامة والمؤول، ويرى إيكو أن المؤول هو أداة لسانية وبسيطة بين عالم الدلالة وعالم التداول.

5/ المؤول والسيرورة السيميائية غير المحدودة:

يرى إيكو أنه ينبغي العودة إلى بيرس في هذا المستوى الأخير باعتبار أمية اقتراحاته، يقول: "العلامة أو الممثل هي شيء ينوب بالنسبة لشخص ما عن شيء مين، بموجب علاقة ما أو بوجه من الوجوه، إنه يتوجه إلى شخص ما، أي يخلق في ذهن هذا الشخص علامة معادلة أو ربما علامة أكثر تطورا، وهذه العلامة التي يخلقها أسميتها مؤولا للعلامة الأولى، هذه العلامة تنوب عن شيء ما عن موضوعها، وهي لا تنوب عن هذا الموضوع تحت أية علاقة كانت ولكن بالرجوع إلى فكرة والتي سميتها أحيانا بمرتكز الممثل" (إيكو صفة 251) عبر هذا التحديد يرى إيكو أن هذا النسق يتشكل من أربعة عناصر : (الممثل، المؤول، المرتكز، الموضوع) ويحدد بيرس المرتكز كفكرة أو خاصية علامة، وأيضا كأيقون ذهني، وهو في نوعيته يشكل مؤولا آخر للعلامة ، لكن الالتباس يعود إلى غنى تعريف المؤول، فهناك تصورين للمؤول[1]:

""هناك في واقع الأمر تعريفان للمؤول: التعريف الأول يرى في المؤول علامة تقوم بترجمة العلامة الأولى، أما في التعريف الثاني، فإن المؤول هو الفكرة المتولدة عن سلسلة من العلامات..." ، ويظهر المؤول في سيميوطيقا بيرسلا كعنصر وسيط في علاقة ثلاثية، و يميز بيرس بين المؤول المباشر الذي هو المدلول المباشر في العلامة، والمؤول الدينامي وهو الأثر الحاصل عبر العلامة والمؤول النهائي وهو الأثر الذي تحدثه العلامة في العقل، والالتباس الذي قد يحيط بهذا الأخير يمكن أن يضاء عبر المفهوم البرغماتي للمؤول المنطقي النهائي.

[1] أمبرتوإيكو، المرجع السابق، ص270.

هكذا فالحياة الذهنية لبيرس تشكل حلقة سيميوطيقية واسعة، فهو يؤكد على كون الحياة هي متوالية من التفكير، وكون الإنسان يفعل ويؤثر في الواقع عبر علامات جديدة، وكون الحياة متوالية من التفكير يثبت على كون الإنسان علامة، ويترتب عن هذا القول كون الإنسان والعلامة التي تعتبر شيئا خارجا عنه، هما شيء واحد، فالإنسان حين يتحدث، فحديثه محكوم بالقواعد التي تحكم هذه العلامات ، والثقافة لا تشكل شيئا آخر سوى نسق لأنساق علاماتية، لذلك فمعرفة هذه القواعد يتضمن معرفة المجتمع.

ويبقى كتاب "العلامة" حسب إشارات إيكو متمركزا حول مفهوم العلامة دون الدخول في تفاصيل وثيمات تخص المبحث السيميوطيقي واللساني، من جهة ثانية لم يسع الكتاب إلى تقديم ملامح ممكنة تقود إلى تشكل نظرية العلامة ولكنه عبر هذا الإنجاز سعى إلى تقديم رسم بانورامي لمختلف المباحث التي حاولت تقديم إضاءة للمفهوم انطلاقا من مرجعيتها وأرضيتها الفكرية، وأهمية الكتاب تعود أساسا إلى قيمة المعلومات التي يعرضها، وإلى إثارة مجموعة من الأسئلة التي تبحث لنفسها عن إجابات ممكنة، من جهة ثالثة ينطلق الكتاب من قناعة أساسية وهي كون مفهوم العلامة لا يخص فقط اللسانيات أو السيموطيقا، وإنما هو مفهوم ظل مطروحا في الفكر الفلسفي منذ القدم، هكذا وعبر سفرنا بين الجنبات المضيئة والمعتمة في كتاب إيكو نصل إلى كون مفهوم العلامة شبيه بالزئبق كلما حاولت أو ظننت الإمساك به كلما انفلت منك.

Collectifs :

- 1929traveaux du cercle linguistique de prague , 1, parague (reproduit dans le cercle de prague, numéro 03 de la revue change , paris, le seuil, 1996).

- 1962 la notion de structure (éd, par sem dresden), la haye, van goor.

- 1966 problèmes du langage, paris, gallimard (diogène,51),

- 1972 contributi sui segni iconici, n : special de vs (n 03), milano, mauri.

- 1973 semioteca e logica, n spécial de vs (n04), milano, bompiani.

Antal, lazlo : 1963 questions of meaning, den haag, mouton

- ashby, ross : 1960 design for a brain, 2e, éd, london, champan et hill.

- austin, j.l : 1958 performatif-constatif, dans la philosophie analytique, paris, minuit, 1962 : 274-304 (=cahiers de royaumont, 04).

- 1962 quand dire c'est faire, paris, le seuil , 1970.

Auzias, hean-marie 1967 clefs pour le structuralisme, paris, seghers (= clefs).

- bally, charles : 1932 linguistique générale et linguidtique francaise, berne, francke.

- barthes, roland : 1964 elements de semiologie, dans communications, 4 :91-136 (repris dans le degré zéro de l'écriture, paris, gonthier, 1965).

- 1976 système de la mode, paris, le seuil (repris dans le coll, -points-).

- 1970 l'ancienne rhétorique, aide-mémoire, dans communications, 16 : 172-229.

Baudrillard, le système des objets, paris, gallimard(reprise : denoel, gonthier, 1972).

-bense, max : 1965aesthetica, baden-bade,agis verlag.

Benveniste, emile : 1966, probleme de linguistique générale, paris gallimard (= bibliotheque des sciences humaines).

Bettetini, gianfranco : -1968 cinéma. Linguia e scrutura, milano, bompiani.

1971, l'indice del realismo, milano, bompiani.

1972 la msidell'icinicita nella metafora visiva, in vs, 3 :54-59.

Birwisch, manfred : 1970 semantics, dans new horizons in linguistics éd, par j.lyons harmodswonh, penguin.

Birdwhistell, ray l : 1960 kinesics and communication, dans explorations in communications éd, par e.carpenter et m.mc luhan,

boston, beacon press.(en francais : voir la communication non verbale, in p.alexandre, éd, l'aventure humaine, paris, kister, 1967).

Bonfantini, massimo : 1970 « appendice crieica »

A russel, b,linguaggio e realta, bari, laterza.

Bonsipe, guy :1965 retorica visivo- verbale, dans marcare, 1922 (ou visuele/ verbale rhetorik- visivo- verbale, dans rheroric, ulm, 14-16).

Borbe, tasso (éd) : 1983 semiotécs infolding (4 vol), berlin, new.

الخاتمـــــة

الخاتمـــة:

وفي نهاية هذا البحث توصلنا إلى مجموعة من النتائج كانت كالآتي:

1- تستخدم العلامة من أجل نقل معلومات أو قول شيء ما أو الإشارة إليه.

2- تصنف العلامات بالإعتماد على تسعة معايير وهي:

- منبع العلامة.
- الدلالة والاستنتاج.
- درجة الخصوصية السيميائية.
- القصدية ودرجة وعي المرسل.
- القناة الطبيعية وجهاز الالتقاط الإنساني.
- العلاقة مع المدلول.
- إنتاجية الدوال.
- نوعية العلاقة المفترضة مع المرجع.
- السلوك الذي تثيره العلامة عند المتلقي.

3- حدد إيكو السنن على أنها جملة من القواعد التي تمكن اكتساب العلامة للمعنى، كما استنبط المستويات الثلاث التي اقترحها موريس للنظر إلى العلامة وهي:

- المستوى الدلالي.
- المستوى التركيبي.

- المستوى التداولي.

4- عمل إيكو على رصد مختلف المقاربات البنيوية للعلامة، وأكد على أن هذه الأخيرة هي التي منحت القوة لمبحث العلامات.

5- ميز إيكو الاختلاف الموجود بين هالمسلف والبنيويين وفلاسفة اللغة في توظيف مفهوم التعيين.

6- ذكر إيكو أن إنجازات غريماس تعتبر من أهم المحاولات في بناء نسق المحتوى.

7- إن كل تأويل العلامة يشكل وحدة ثقافية أو دلالية في ثقافة معطاة وهي وحدات تنظيم في نسق من التقابلات.

8- أكد على أن الثقافة مصممة كنسق لأنساق علاماتية والتي عبرها يصير مدلول دال معين مدلولا لدال جديد كيفما كان نوع النسق المعني.

وفي النهاية لا يسعنا القول إلا أنه مهما بلغ بحثنا من نتائج فهو ناقص لذلك نفتح المجال لباحثين آخرين للتوسع في هذا الموضوع، فأنا أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن الشيطان ومن أنفسنا والله الموفق وهو يهدي السبيل.

قائمة المصادر والمراجع:

1- العلامة تحليل المفهوم وتاريخه لأمبيرتو إيكو، ترجمة سعيد بنكراد ، دار النشر كلمة والمركز الثقافي العربي، ط1، 2004.

2- https://ar.m.wikipedia.org/wiki/.